الكلمات الرابعة

بسم المَلِك مَن مَلَك بذاته و حَكَمْ،
بسم الشاه ربّ العربان و العَجَمْ.
مِن خزائنه نزلت الحكمة،
على قلوب أولي المرحمة.
رحموا أنفسهم باتّخاذ الحُبّ مِلّة،
فرحمهم الجواد فأغناهم بعد قِلّة.
مِلّة الحبّ دوام الأذكار،
طريقنا على دقّة الأفكار.
فَضلّنا على المؤمنين بالأسرار،
بمركزية العلم افترقنا عن الكفّار.
تعال و تعالى لتعلو عُلوّا،
في كتابنا بدا الحق بُدوّا.
أقلامنا قَلَّمها القلم القديم،
حروفنا من لدن نور حكيم.
ألا قل للحسود غُضّ البصرْ،
يبلغ النِّسْر فوق وهم الحَشَرْ.
نحن وُرّاث لسيّد قَمَرْ،
عليّ و من أبى قد كفرْ.
وضعنا رؤوسنا عند قَدَم حيدرْ،
فوجدناها فوق ما يبلغه الخبرْ.
هذا بيان نهايته مجهولة،
فأمسك عنه و ابدأ المقولة.
...-...
قُل ما تشاء في الأصحابْ،
ما عندي صاحب إلا كتابْ.
عزيزٌ يُعزُّ مَن يُجالسه،
سليمٌ لا يملُّ لا يغتاب.
رفيق ما حَلَّ إلا بمشيئتي،
و لا أجدُ عليه إذا ما غابْ.
أيا حَبّذا صحبة مستمرة،
ما بها خصومة و لا عتاب.
إذا ما التقينا فيوم سعود،
و إلا فإنا لا نزال أحباب.
تتكلّم خفية عقولنا العالية،
بتجرّد عن الهوى كالأرباب.
يأيتنا الإكرام من لدن واحد،

يرزق مولاه بغير أي حساب.
جلَّت حضرة الكتب و علَتْ،
فلُذ يا إنسان بذلك الجناب.
لا تستبدلنّ علوّه بدُنياك،
فتكن حقّاً كمثل الكلاب.
خير الكلام كلام الكتب،
و غيره مُقارنةً كالسباب.
كما علي بالنسبة لنبينا،
ليس للمعالي غيره باب.
ماء تحيى به بلدة الروح،
عسل يشفي من الاكتئاب.
و ألذّ الأغاني بين سطوره،
تعال و اطرب لهذا الرباب.
افهم عنّي و لتتب صادقاً،
اجعله محوراً قم بانقلاب.
إنما المقامات درج التعاليم،
ما عند الملائكة من أحساب.
إن ورثة الكتب هم الوارثون،
العقل عند الأنبياء كالأنساب.
و هل النعيم إلا لذّة متجددة.
لا تنقطع مهما طالت الأحقاب.
فإن أنصفتَ فإنك لن تجدها،
إلا بصُحْفٍ تنجلي بها الألباب.
فجالس ما عشتَ أهل الدرس،
و عن سواهم عليك بالانسحاب.
فإنهم وحدهم أهل السلامة،
غيرهم أبداً هم من الأجراب.
دع كل هازئ بالأقلام و كُلّ،
بَوَّال على نفسه كالأعراب.
أين ماسّ اللّوح المحفوظ،
أين داسّ نفسه في التراب.
نهجوا نهج أبي جهل و لهب،
و نهجنا نهج وليّنا أبي تراب.
بدا تعفّنهم بفشوّ غبائهم،
و فاح الريحان بالكُتَّاب.

قوم إذا كانوا بأرض بوركت،
و تتضاعف بهم كل الأطياب.
ألا إنهم النسور الصقور و البُخور،
هم البحور النمور و غيرهم ذباب.
الدنيا ظلمات و إنهم لَشموس،
الأرض صحراء و هم السّحاب.
ها قد نحلتك بعض عِزّ الكتاب،
عرفت فالزم أو أمرك في تباب.
...
النفس أنفس نفيس لأولي نفسٍ،
أنفاسها تُنَفِّس عن نَفْسِ أشواقها،
قد جمعت كل حقيقة في عالَمٍ،
فضاهت الأعيان غيبها و آفاقها.
هي القطب دارت عليها الأفلاك،
إلى إمدادها الروحي تدمع آماقها،
فاعرف نفسك استقم على الأمر،
حتى تنير نفسك و تبلغنّ إطلاقها.

أي طالب النور بعد غفلة،
لأُرشِدنّك فأنصتَّن لمقالي.
اذكر الله بجميع الأحوال،
و دع بدءا كل قيل و قالِ.
اعتزل كل صاحب و أخ،
و ارضَ بدايةً بأقل المالِ.
إلى أن ترى الله لا غيره،
و تُوصَل روحك بالرّجال.
عندها ستُقام في وظيفةٍ،
منصب بمُلك ذي الجلال.
كل ما تأيته من بعد ذلك،
يكون بتوفيق ذي الجمال.
يعصمك بلطفه عن حرام،
و جميع عملك من الحلال.
إن فزتَ بما وصفته لك قل،
لك الحمد على منح الكمال.
...

بِقلبي من العشق كموج البحرْ،
و سرّ علا على الإيمان و الكفرْ.
أثارته ساحرة لها عين مُكحّلة،
سوادها مُعلِّمٌ لهاروت السِّحرْ.
بنظرِتها انقلبت العصا لثعبان،
و أُحييَ المَيْت و انشق القمر.
بلمسةٍ شَفَت أكمه قلبٍ أبرصه،
غمزَت فمِن تهيّجه انفلق البحر.
هي للذّات ذاتُ هُويَّتُها الذاتية،
فما لُمشاهدها بعد وصلها صبر.
هي الملكة و الأكوان أبواب،
لولا الملوك لما بني أي قصر.
الحديقة حجابها الغرف صفاتها،
المخدع اسمها السرير هو السرّ.
جاهَدَ لوصلها غُزاة الشرق و غرب،
سعت لها النفوس بالنكاح و بالعهر.
يا عزّة ضيفها يا كرامة زائرها،
لا تُقرِّبُ منها سوى أهل الذكر.
و حين تتجلّى لمن بحضرتها،
يطيش كالصُّحُف منهم الفكر.
تَردَّت بثوب له ذيل طويل،
ذرعه العوالم خيّاطُها جَبرْ.
لا تكشف طَرَفاً من ساقها،
إلا لعاشقها في ليلة القدر.
فتسقيه نوراً يطمس النجوم،
يحرق براكين و يُسكِرُ الخمر.
فتراه يرقصُ في التعزيات،
و تقرّ عينه بالفسق و الفُجْر.
بطيب الحبيب طابت الدنيا،
و أصبحت عُليا بمطلع الفَجْر.
لأن الحكمة من جميع الحادثات،
ليست صورها بل الصبر و الشكر.
فإنها المذكورة التي بذكرها،
يحلو الحنظل كما يحلو التمر.
نَفذ شعرُها في أنحاء مملكتها،

ثقبت الأشياء كما تثقب السُّمْر.
تُناجي وليّها خُفيةَ و باحتجاب،
و برسول لطيف ليُبلّغ بها الأمر.
قد بطنت بظاهر كلامها،
كما بطن في اللؤلؤ الدُّر.
جندها يظفر تجري أمامه،
لوجود رضاها رياح النصر.
بختم اسمها على كتاب عبدها،
يجد نفسه من كل سلطان حُرّ.
يتبوأ من الكون حيث يشاء،
يتمثّل في الحسان كأنه جَبْر.
وعيه كالماء فيجمد و ينساب،
و كذا إن شاء يتحوّل إلى بخر.
و يبقى الماء ماءاً مُجردَّاً،
فيام الوجود بعين الصِّفْر.
و لولا النور ما قامت الليال،
و الألطاف كامنة بعين القهر.
لا تقل لي "لا تفتؤ تذكرها"،
ما سال لغيرها أبداً الحِبْر.
هي مشهود كل الناظرين،
حولها يدندن لسان الحَبْر.
الكلام عنها كمثل أسمائها،
لا ينفد بل هو أمر مستمر.
أمسك سلطان فقد كشفت حقائقا،
لن يعقلها الخلق حتى يوم الحَشّر.
أو يظهر سيّد من آل محمد،
به تشرّفت الأرض و لا فخر.
يُضيئ بضوء من ضياء الله،
لا يقف أمامه عُرْف و لا نُكر.
و تنزل معه الأملاك قاطبة،
تلك للصّف و هذه للزّجْر.
فكل مُعتنى به ذي معنى،
يرى في نفسه يوم النشر.
فيحمدوا ربّهم لانقلاب،
كل عسرهم إلى اليسر.

لكل عبد يومها بخلده،
جنّات خُلدٍ و ألف نَهْر.
يعتصمون بآيات القرءآن،
لهم بها الألواح و الدسر.
يجري فكرهم وسط الشبهات،
بأعين خبير قد أحاط بالقَطْر.
يجلسون حِلَقاً تدور عليهم،
إلهامات لطف ما بها سُعْر.
ينطقون حُبّا بإخوانهم،
ليس للفخر و لا للأشْر.
لهم أوجه تتغذّى بها الشمس،
من جمال مشهودهم ذا النضر.
نهار سعادتهم تسرمد عليهم،
لا فرق بين العشاء و الظُّهْر.
أظفرهم بعدوّهم و فتح لهم،
جوانب الأرض منبع الظَّفْر.
بذلك وعدنا الخالق الحكيم،
يشهد بهذا الكشف و الزبر.
مَن تبعنا و استمسك بنا،
نال جاها و أعلى قَدّر.
نعم سلطان حزت السلطنة،
بولاية الحق و مهدي مُنتَظَرْ.
فلله الحمد كما يليق بوجهه،
و خير صلاة على خير البَشَرْ.

قال: مَن كتَبَها لك؟
قلت: إما جبريل و إما إبليس. بحسب كيف تقرأها.
قال: والله ما فهمت.
قلت: لم يكتبها أحد لي. استغربت من السؤال. لو كنت نقلتها لكنت نسبتها لصاحبها. و مقصود الجواب الأول؛ مَن أخذ باطن القصيدة سيعرف أنها من عين معرف الوحي الإلهي. و من أخذ بظاهر القصيدة سيرى أنها شيطانية و ضلالية.
قالت: معرف ؟
قلت: الشخص الذي يُعرِّف (فاعل التعريف: جبريل-قرءان-نبي-ولي).
قال: رأيت ذكرك فيها فاستبعدت تكون كتبتها أنت. (أقول: يقصد قولي "أمسك سلطان")

قلت: هذا يسمونه "تخلص". مثل قول حافظ الشيرازي مثلا-مترجم (فإن شئت حافظ..الخ). و أصله؛ هذا كلام من وراء النفس و هو من الروح. و الاسم إنما يقع على النفس. فحين تخاطب الروح نفسها قد تناديها باسمها.
قالت: يعني هنا روح حافظ تخاطب نفس حافظ؟
قلت: من وجه نعم روحه تكلّم نفسه. و من وجه ربّه يكلمه فإنه ممن لسانه لسان الله تعالى.

...
لكل شُبهة مفتاحْ،
لأن خالقها الفتّاح،
لا مُستغلق بالكون،
فانْعَم يا بالارتياح.

قال: مَن المُنادَى ب "يا" في السطر الأخير و لماذا خذفته؟
قلت: هو الإنسان الجاهل بالمضامين المذكورة في السوط الثلاثة السابقة. حذفته للدلالة على عدمه من جهتين؛جهة عدمه الأصلي أي عينه الثابتة. و جهة عدمه الحقيقي أي فقره إلى الله في كل أمره. و المعنى هو؛ إن كان عدمك الأصلي لم يكن مُستغلقا بل كان له مفتاح و بهذا المفتاح خرجت إلى الوجود. فمن باب أولى أن تستدل بذلك على صحة ما نبهتك عليه في السطور الثلاثة. و إن كان لفقرك الذاتي حلّاً و مُغيّراً و هي إفاضات الأسماء الحسنى من الغني الحميد عليك. كذلك هذا شاهد آخر على عدم استغلاق شئ استغلاقاً مطلقاً. وجود وجوده و إطلاقه عَيَّن الأعيان المحدودة، و إرادته كوَّنت المُكوَّنَات و مشيئته خلقت المخلوقات. فلم يستغلق عليه شئ لأنه حقيقة مفتاح كل شئ. "و عنده مفاتح الغيب".

...
فكرة مشروع: برناج كمبيوتر لصناعة الشعر، لإعانة المبتدئين عليه لا أقل. فيه البحور و قوالبها، و يحمرّ حين تخرج عن الوزن. و فيه أن تضع القافية فتخرج لك قائمة بالكلمات العربية التي لها تلك القافية. و فيه معجم مرادفات -حسب الشائع.

...
لا يخرج شئ عن الوجود الحقّ،
إذ هو مبدأ مبادئ الرتق و الفتق.
فكل الثوابت به ثبتت،
و كل الظلال به تغيّرت.
فهو الثابت المتغيّر بذاته،
و الظاهر الباطن بهويّته.
شهد بذلك أهل العرفان،
و نطق به صريح القرءآن.
في الثبات "الله الصمّد" ميزان،
في التغيّر "كل يوم هو في شان".
مَن أخرجه عن شئ فقد كَفَرْ،
من أخرج عنه شئ بلا فِكَرْ.

هو البحر و السمك و الأمواج،
هو الكأس و الخمر و الأمزاج.
الله الحق فكل ما تحقَّقْ،
هو هو عند كُلّ مَن دَقَّقْ.
تريد التوحيد بالكثرة يا مجنون،
و ترى إخلاصك قائما أي مفتون.
دعوا الهذيان و الإلحاد أيها المؤمنون،
"قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون".

قال: ما معنى الرتق و الفتق؟
قلت:الرتق اتصال الأشياء ببعضها. الفتق فصل الأشياء عن بعضها. فالمقصود كل الموجودات مطلقا، كانت متصّلة متوحدة محكمة في العلم الإلهي و هو مستوى الأعيان الثابتة، و كذلك في عالَم الأمر العلوي. أو كانت منصلة متكثرة مشتتة في الخلق الإلهي و مستوى المخلوقات و الحادثات، و كذلك في العالم السفلي الظلماني. قال تعالى "فيها يفرق كل أمر حكيم". لاحظ أن الأمر حكيم من الإحكام و الاتصال، لكن في هذه الليلة يتنزل فيفرق و يتفرّق و يتكثر و يتعدد. لذلك قلنا في البيت "فهو مبدأ مبادى الرتفق و الفتق" فقدمنا الرتق على الفتق لتقدم العلم الإلهي على الخلق الطبيعي.

قال: لو توضّح لنا المقصد من البيت الأخير.
قلت:البيت الأخير يقول للمؤمنين ممن آمن بالتوحيد إجمالا: لا تقولوا كلاما فارغا لا حقيقة له و هو أن الله شئ من بين الأشياء الموجودة لكنه أعظم منها هذا هذيان لأن الله حقيقة الأشياء و هو حقيقة الشيئية ذاتها. و كذلك دعوكم من الإلحاد، و الإلحاد ككل مفهوم سلبي أو إيجابي كلّما ترقّيت في النظر كلما كان للمفاهيم معاني أدق، فالإلحاد في المستوى الأسفل هو إنكار الأسماء الحسنى "ذروا الذين يلحدون في أسمائه"، لكنه في المستوى الأعلى هو أن ترى أن لغير الأسماء وجود، الحقيقة أن الأسماء الحسنى هي الموجود الوحيد في جميع الموجودات، لأن كل ماهية موجودة هي كتلة من الكمالات بقدر و درجة معيّنة، و الكمالات هي للأسماء الحسنى بل هي عين الأسماء الحسنى، بالتالي الموجودات هي الأسماء الحسنى لا غير. و آخر سطر هو استدلال بآية قرءانية استعملها الصوفية كثيرا و هي "قل الله" أي ما ثم وجود و لا موجود إلا الله تعالى "ثم ذرهم" أي ذر أهل الشرك و الكثرة "في خوضهم" أي حديثهم الهذياني و الإلحادي "يلعبون" يلعبون في المفاهيم بأفكارهم و أذهانهم القاصرة و يحسبون أنهم عاقلون و مهتدون لحقيقة الأمر.

...
نداء الحبيب لحبيبِه،
لا باسمه بل بنسبتِه.
يا يأيها الرسول و النبيّ،
ما بغيرهما تنزّل الوحيّ.
خطاب النسبة ينسبك إليه،
و يجمع جميع هويّتك عليه.

خطاب الاسم فرقان،
و هو سيف له حدّان.
حدّ العبودية للصالحين،
حدّ القهّارية للظالمين.
هذا من فقه المحبّة فاعلمه،
و في الخلق بخلافتك أنفذه.
...
سألني الغافل عن عمري،
و هل يستفيد من كميّتْه.
قلت بأي المقاييس تريد،
إدراك وجودي و حقيقتْه.
بالهجري تسعة و عشرون،
و أنقص واحدا بيسوعيتْه.
أما بالسُّلطاني اعلم أخي،
فهو ارتداد الطَّرف و لمحتْه.
وجودي مطلق لا عمر له،
لا تبقى لثانيتين صورتْه.
...
لحسن المنطق عليك بالاعتيادْ،
فإنه لكرامة الرجل كالعِماد.
لتتضح أفكارك الزم التأملاتْ،
لتصطفي عبارتك ادرس اللغات.
لا تتخللن نطقك آآتْ،
لا تُكدِّر لفظك بترددات.
اهدأ لا يجري وراءك أحدْ،
ليكن كلامك كالسيف الأحدْ.
حسن الصمت تاج العِقِّيلْ،
المقال بوقته سَمْتُ النبيل.
لا تخاطبن غير طالب،
لا تُكلّمن غير راغب.
إنما توضع البذور للثَّمَر،
الجاهل لا ينفعه شقّ القمر.
لا يحلّ عند أولي الألباب،
لا الإكراه لا الاغتصاب.
سعيك لغاية بِيَدِ الأصمّ،
كطلب الولد بأهل العُقُمْ.

بيّن بيانك بخفض الصوت،
لا تتكلّف فتقع في الموت.
علوّ الحجّة و دقّة الإشارة،
أرفع لقدرك من رفع المنارة.
هذه آداب الآدميين،
خذها بقوّة يا أمين.
يُنتج عقلك و تصل المطلوب،
بإذن الله مُقلِّب القلوب.
...
(قصيدة أوّل كلمة من كل سطر فيها هو كلمة من آية الكرسي و هي على عدد كلماتها من خمسين سطراً)
الله الله خمر من يُقرّبه،
لا يتلذذ إلا بالذي يُحبّه.
إله أخلصَ له العوالم و الناسْ،
إلا بعض ممن على عقله داس.
هو الحقيقة التي بِكلٌّ تَعيَّنَتْ،
الحي لا مرتبة عن ذاته خَلَت.
القيوم بالوجود و الإيجاد و الإمدادْ،
لا ذرّة عن الإسلام له لها أقلّ ارتداد.
تأخذه بخلقه رحمته العتيقة،
سِنَة فما فوقها تُفني الخليقة.
و لا لمخلوق تَحررٌ عن الصراط،
نوم غفلتهم لا يقطعنّ الارتباط.
له أعيانهم هي المبادئ العُلى،
ما أشخاصهم إلا ظلال بالدُّنى.
في ذواتهم شواهد إلههم حقّا حقّا،
السموات و من فيها تنطق رِقّا رِقّا.
و ما نال ملكا من الملائكة الشفاعة،
في دنيا و أخرى إلا بقيد الضراعة.
الأرض دحاها بيد سطوته،
مَن ذا يتجرأ على مخالفته.
ذا لا يكون إلا الظلوم الجهولْ،
الذي انطمس فيه نور العقول.
يشفع الموجود بشرط إن كانْ،
عنده صفة حق تؤثّر بالأكوان.
إلا أن الإنتاج ثلاثي فإنما يقوم،

بإذنه تعالى و احذر فتنة الروم.
يعلمُ العلماء بإن وحدة الواحد،
ما تشوبها كثرة إذ إنه الصامد.
بين المشركين بكثرة اختلاف كثير،
أيديهم تُخرب أديانهم بتفكير حقير.
و ما أدّاهم لذا إلا جعل القرءان،
خلفهم و جعلوا اماهم الأذهان.
و لا تنبهوا لقيوده و أنهم به لا،
يحيطون إلا به لا كظنّهم بالله.
بشئ من الكشف يستغني العقل،
من بعد طول تسوّل الذهن بِذُلْ.
علمه معصوم بصره مصون،
إلا إن تمظهر بلسان مجنون.
بما أنه دار السلام فَقَدْ،
شاء البِلالي لزوم أَحَدْ.
وسع قلب العارف أعيان الثابتات،
كرسيّه خياله قد جمع المتضادات.
السموات عقول و كل متجرّد،
و الأرض بدن و لها التجسّد.
و لا يخرج ما فيهما عن الخليفة،
يؤوده ما عاش تضييق اللطيفة.
حفظهما و حفظ ما بينهما عليه،
و هو مُمدّهم و الأمر منه إليه.
العلي بالأصالة ربّه و هو به يعلو،
العظيم بالإفاضة مَن اتَّبَعَه ينجو.
...
الشَّعْر سحر غريبُ والده،
و فيه قوّة تعقّل لمن يُردده.
بشرط أن يتعمّق في تحليله،
و بوحي حقّ الوعي بتأويله.
مع إيمان بأن الشِّعّر إلهام،
لم تستصنعه أهواء الأعلام.
وإن كان بوجه لهم فيه صناعة،
فهم كالشمس بالله لها نصاعة.
الشين شمس شعشع شعاعها،
العين معاينة الأعيان بعيونها.

أما الراء رؤية الراءِ لمجمع البحرين،
أي المثال الخيالي برزخ الحضرتين.
الشعر شعور يُلامس المعاني،
لذا الشاعر مُنشد مما يُعاني.
معاناته تلذذ ألا ترى أنّ،
المُتلذذ مضطرب أبدا يئنّ.
خنق الشاعر ليس بالحبال،
بل بمنعه من تغيير الرّجال.
ألطف الناس بالناس شاعرهم،
إذ يُبدّل بكيميائه ذَهَباً نحاسهم.
أقلّ ما تناله بسماع القصيد،
أن يحصل للسانك به التنضيد.
الناثر مشلول الساجع راكب،
الشاعر طائر و للعرش راغب.
ما للإنسان في نهاية التحليل،
إلا التكلّم بإجمال و تفصيل.
أليس الدعاء سبب التفات الربّ،
أليس بالذكر يكون جلاء القلب.
و قد قال "لا حول و لا قوّة" لك،
بالتوكّل و التفويض إليه أمرك.
إذن أنت مخلوق كموسى،
لتُكلّم مُصطنعك تكليما.
القرءآن من وجه فوق الشعر،
و من وجه هو كالسجع الحُرّ.
حقيقة روحه و بركة مُنزله،
وجه تعاليه فلا يوجد مثله.
أما صورة تركيبه و نظم كلماته،
لها أوزانها و قوافيها بخاصّيته.
إذ السجع برزخ سماوي،
و القرءآن تنزيل ملائكي.
و قد قال عنه قول رسول كريم،
فنسب القول للرسول أي فِهّيم.
لذا ما تحدّى إلا إنس و جان،
أن يأتوا بمثل آي ذا القرءان.
و القرءان فيه كمالات الشعر،

و حائز للتي للسجع و النثر.
إلا أن الغالب على نمطه،
تسجيع خاصّ لا يربطه.
فإن جاز لقلنا بأن الآيات المحمدية،
هي سجع حمائم سماوية جبريلية.
لذلك نفى تعليمه الأشعار،
فهو وسطيّ مجمع أنوار.
ما مازج القرءآن النفس،
إلا جعلها غنائية الحسّ.
فتتولّد فيها مهما كان لسانها،
أشعار و أسجاع ترفع قدرها.
الشعر تطرّف كالنثر من تحت،
أما القرءآن فيه الكمال البحت.
فالحمد ثم الحمد على إنزاله،
فاستمسكن به لا تدع حباله.
...
سألتني بشوق عن الفرق العقلي
بين قرءان مكّي و الآخر المدني.
قلت إن إحداث الأثر في البشرية،
يكون بالعلم و يكون بدولة قهّارية.
إذ لم يكن بمكّة للنبي السيف،
فمكّة منزل العلم كأصل الكيف.
فترى فيها الأمثال و القصص،
و المعرفة لها غالبية الحصص.
لذلك لم يظهر بمكّة النفاق،
الصحب فيها ذوي إشراق.
مثال ذلك هو سورة القمر،
باستثناء كلمة كلّها خبر.
"فتولّ عنهم" هي الاستثناء،
و ما عداها فهو من الأنباء.
و لذلك قيل القمر مكّية،
لأنها ذات حكمة علمية.
قد حدّثنا ابن عبّاس،
بقول ذي فقه بلا قياس.
القمر تُسمّى في التوراةِ،
المُبيّضة للوجوه في القيامةِ.

تفسيره بأن المثل القرءآني،
له قسمان إنسي و طبعي.
التوراة هو الإنسي كما قد ورد،
في مثل الرسول و مَن معه سجد.
الإنجيل كوني فضرب بالزرع،
مثلا للروحانيين ليُقرِّب النفع.
أما القرءآن فإنه قارن بينهما،
كسورة الشمس حيث جمعهما.
وَ له بعد ذلك مزيد من الكمال،
فيه علم النفس و تأويل الأمثال.
إذا نظرت في القمر وجدتها،
كلّها إنسية تحقق من آياتها.
بدأت بقوم محمد ثم بنوح و عاد،
فثمود و لوط و آل فرعون ثم عاد.
فحقيقة القَدَر ثم ختم بالمصير،
الناس بين ناري و عند القدير.
فهي توراتية قد تُحدث التبييض،
لمن اعتبر بها و نفعه التحريض.
إذ القراءة كما قال لبيد،
هي الحمل و وجود المزيد.
"لم تقرأ جنينا" لم تحمله،
الكتاب رجل قلبك امرأته.
إذا عقلت فقد حملت بالمعنى،
و صارت نفسك نفسا أسمى.
لذا ربط بين القراءة و الذي خَلَق،
في فاتحة الآيات من سورة العلق.
القراءة خلق النفس بالأفكار،
فاستمدّ من اسم ذي الأنوار.
بالأسما تحدث الآثار بالنفس،
أيّدك رب المسيح بروح القدس.
إذ ذكر مَن ستسودّ وجوههم،
هو ذكر مَن ستبيّض وجوههم.
أصلح كعبتك بالقمر أي عزيز،
فقد احتوت على النبأ الإبريز.
و كذا إن سمعت بالمكّياتِ،

اطلب فيهن حِكَماً باقياتِ.
هذا بيان بسلطان الله،
تأملن فيه قل الحمد لله.

...

قالت: لماذا توجد أوقات تُكرَه فيها الصلاة؟

قلت: بما أن القرءان قال "الذين هم على صلاتهم دائمون" فإذن لا يوجد وقت مكروه لصلاة القلب. لأن القلب من عالم الغيب. و عالم الغيب العلوي هو عالم البقاء النوراني، فكله طيب و خير و صلاة.

فالأزمنة المكروهة كالأمكنة المكروهة، إنما صارت مكروهة حين تقيّدت بالزمان و المكان. لأن الزمان و المكان من عالَم الخلق، و عالم الخلق فيه ظلمات و نور، و بقيّة الثنائيات بطبقاتها. لأن الإنسان يطلب اللذة لا الألم، و الرحمة لا العذاب. فالألم مكروه، و العذاب مكروه. و لذلك وجدت أزمنة و أمكنة مكروهة للصلاة، للدلالة على أن الطبيعة ليست كلها خيرا و نورا، بل هي حضرة ممتزجة مختلطة بين الظلمات و النور، و الخبيث و الطيب.

...

ألا استقم على الطريقةِ،
على الرّغم من حرّ مكّةِ،
فإن صبرت بشكر مؤمنا،
أنالك فتحا كعزّ المدينةِ.

...

وردني تساؤل من خير السؤالاتِ،
لِمَ نَصَرنا الحق في عالم الظلماتِ،
قل إن الأعمال ترجع عدلا لعاملها،
و العلّة تحريك جسمنا بالصلواتِ.

...

لا يعلم الكُلّيات،
إلا الذاكر للذات،
مُشاهد السمات،
عاقل الكونيات.

...

يتحدد الشئ بتغيّر غايته،
لذا فَصّل عيسى في دعوته،
و لفهم قوله لدرك استجابته،
فما كان الله ليجهل سريرته.

...

يجهد الغافل ليفرّ من فطرته،
أيُعقل انفكاك معنى عن ذاته،
كالقَدَم تجري من عين القدم،

كذلك تناسي الإنسان لآخرته.
...
لا عبرة بشاعرٍ إن لم يَزِنْ،
منطقه بالحقيق لا بِكَمِّ أوزانِ.
الشعراءُ حكماءُ و إلا فإنْ،
عَمّمْتَ قِرداً يبقى غير إنسانِ.
...
طلبُ شرقا و غربا السرور،
فشقيتُ مُحاولًا نيل الطيور،
لكن لما توسّدتُ ثديها بحبٍّ،
فزت سعداً و شفاء الصدور.
...
تاه السكارى في طلب المُلكْ،
توسّلوا بالحرب تعبّدوا للفُلْك،
يا ليتهم علموا بقرب حبيبهم،
خذها خليلي المُلْك بالضِّحْكْ.
...
الملل و الفلسفة في النهايةِ،
ثمرتهم إن وصلت في ثلاثةِ،
دوام المعرفة حسن معيشةٍ،
و تلذذ العشاق بنيكِ الزوجةِ.
...
لم أرَ مثله و لم أَنْعَمْ قَبْلَهْ،
تنزّل عليّ و منحني قُبْلَه،
من ذاق حنانا من الجبار،
اتّخذه في كل شئ قِبلَه.
...
إن جهلت فقل يا غفّارْ،
إن أسرفت قل يا غفور،
إن عصيت فقل يا غافر،
اعلم أنه يؤاخذ لا تتمرّدا.

الجهل مناسبة لتتعلّمْ،
الإسراف خير لتتحلّم،
المعصية نعمة لتتكرّم،
ألا سارع لربّك لا تترددا.

الحياة طريقة للتغيير،
أحسن عملها التنوير،
من ذنبك اسع للتحرير،
احذر لنفسك ألّا تتجددا.

العبودية أدب التذلل،
مبناها حسن التعقّل،
لروحك جاهد للتجمّل،
بالظلمات أبداً لا تتحددا.

...
النبوة علم الرسالة حكم.
لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم "العلماء ورثة الأنبياء" و قال "الفقهاء أمناء الرسل".

...
يمكن تلخيص الفرق بين الحياة الحكيمة العتيقة و الحياة السفيهة الحداثية بالتأمل في مفهوم لفظة "الوظيفة". أقصد يمكن التفريق بين الحياة الإسلامية و المعيشة الجاهلية بذلك.
عند المسلمين، الوظيفة تعني "مجموعة أذكار إلهية و أدعية ربانية تقولها يوميا من باب العبودية".
عند الحداثيين، الوظيفة تعني "الانخراط القهري في نظام شبه كهنوتي محصور في أسفل جانب مادّي لزمن كمّي يومي".
آه ما أعظم الفرق بين الوظيفتين، كنّا فوق فصرنا مصداقا ل "أو تهوي به الريح في مكان سحيق".

...
أي غافل اصحُ اصحُ،
عزرائيل يقترب اصحُ،
اليوم عيشك غدا المحو،
الموت أقرب للنفس من نَفسِها.

ما أشدّ ما نسعى،
مع ذاك كُلّنا نفنى،
طِرْ للسما لن تبقى،
الموت أقرب للنفس من نَفسِها.

نُقاتل لنعيش ثم تقتلنا،
سهام خفية ستصيبنا،
لا نردّها بجميع حِيَلُنا،
الموت أقرب للنفس من نَفسها.

نفكّر و نمارس الرياضات،
ثم نشتغل لتجميع الثروات،

نُفني عدوّنا نكوّن صداقات،
ألا تكفّوا عن ذي الجهالات،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

كبّروا لجنازتك يوم ولادتك،
كفّنوك حين ألبسوك تميمتك،
دفنتك أمّك لحظة احتضنتك،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

تخشى الموت أيها المسكين،
و كل زفير لعيشك كالسِّكّين،
تتكبّر و تعلو على المساكين،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

ألا فقُم ثم قُم أيا إنسان،
فأنت ابن القبر و الديدان،
أنزل رأسك لحكم الرحمن،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

تقول سأعيش كقول القدماء،
هيهات هل تجد أولئك الكبراء،
قد فني حتى سادات الأنبياء،
بلي عظم حتى أقطاب الأولياء،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

إنك أخي لتحبو تجاه القبر،
و تظنّ أنك ستكسب القصر،
في كل موقف ترتفع بالفخر،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

هراء إي والله هي سفاهة،
لنعمر الأرض هذه النباهة،
كذلك يفكّر إخوان التفاهة،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

لو كان الله يبالي بأكوانه،
أكان سيفسدها باختياره،

ألم تره يُرجِع يوسف لترابه،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

لا تقل أنا مُستثنى،
بلى إننى مُستصفى،
اذهب و زُر المُصطفى،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

كم أُنبّهك و أنت كافر،
كم أُعلّمك و أنت حائر،
و تسعى للسراب كهاجر،
الآخرة بيتك فلتُسافِر،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

أبواب السماء مفتوحة،
مواهب الكريم ممنوحة،
نفسك بذنوبك مجروحة،
استغفر و هي مطروحة،
هذه آخر كلمة مسفوحة،
الموت أقرب للنفس من نفسها.

قال يسوعي ممن أقربائي و يهمّني أمره شخصيا:
الإنسان مخلوق للحياة و ليس للموت.
و لكن السؤال الصعب هو:هل للاستغفار أي فائدة؟
لو كان ذو فائدة لكان أعاد آدم لجنّة الخلد فورا بعد طرده منها بسبب خطيئته.
قلت:
هذه السطور عن الجانب الجسماني المادي للإنسان، و هو الجانب الفاني المخلوق للموت. و ليس الجانب الروحاني المعنوي للإنسان المخلوق للبقاء و الخلود و الحياة. عندما تختلف زاوية الكلام يختلف مضمون الكلام.
الاستغفار في جميع الملل بصورة أو بأخرى ضرورة. مثال "أبانا الذي في السموات...اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا" (متى/٦-١٢). لو لم يكن مُفيداً و ضرورياً إلى اليوم لحذفوها من الصلاة اليومية.
لم يرجع آدم فوريا (ظاهريا) للجنّة بعد الاستغفار، لكنه رجع (باطنيا و قلبيا). أما عدم رجوعه الظاهري، لوجود الجسم عنده بَعْدُ و بعد موته سيرجع. أما رجوعه الباطني عندنا، فكما قال النبي "إذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا. قالوا: و ما رياض الجنّة؟ قال: حلق الذكر" ذكر الله و التأمل في أسرار المعارف هو جنّة القلب. و هذه تحصل للإنسان و هو في هذا العالم أيضا بجسمه. هذا معنى موجود في الملل

العتيقة أيضا. مثال: "و هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا/١٧-٣) إذن الجنة هي المعرفة. و المعرفة حاصلة الآن للمصطفين الأخيار. فالرجوع إلى الجنّة بدرجة ما حاصل الآن للصفوة و النخبة. (إضافة خطرت لي بعض بضعة أيّام و هي جواب نقض: اليسوعي أيضاً يقول بأن صلب يسوع كان الكفّارة الحقيقية و النهائية للخطيئة الأصلية، فلماذا إذن لم يرجع جميع الناس أو كل مؤمن بيسوع على شرطهم إلى الجنّة فوراً بعد الصلب أو بعد حصول الإيمان بقضية الصلب! القوم لا يعقلون ما يقولون)

الهدف من القصيدة: تنبيه من ينحصر في الحياة الجسمانية و المادية بأنه سيموت.

الهدف الأبعد: أن يسلك في الطريقة الروحانية و يطلب المعارف العقلية التي بها حياته السعيدة الأبدية و حسب مستواه فيها سيتحدد مصيره في الدار الخالدة.

كما ورد عندنا "يقال لقارئ القرءآن: اقرأ و ارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

درجتك في الجنّة حسب درجتك في المعرفة.

قال اليسوعي: نفسي أعرف كيف بيطلع منك هيك تخبيص. كوكتيل داخل في بعضه ما فهمت منه شئ. أما شغلة جنّة ظاهرية و باطنية هَيْ جديدة ٢٠١٧ !

فضحكت و قلت:

لا يوجد أوضح و لا أفصح في الكتابة عن أمور المعرفة المقدسة في هذا الزمان من كاتب السطور. هذا من فضل ربي. فمن لم يفهم عنّي لن يفهم عن غيري.

الكلام بسيط جدّا.

كتبتَ ثلاث ملاحظات، فأجبتُ بثلاث فقرات.

الأولى مقصود القصيدة موت الجسم فقط. واضحة.

الثانية الاستغفار له فائدة. جئتُ بدليل تقبلَه. سهلة.

الثالثة التمييز بين الظاهر و الباطن، هنا أمر عميق لكنه مُيسّر و شائع في الهندوسية و البودية و اليهودية و اليسوعية و الإسلام. شاهد آخر من اليسوعية "مَن آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي". ركّز. تجري من (بطنه). واضح أن المقصود ليس نهر النيل و الفرات المادي، لكن نهر المعرفة و المحبة "الباطني".

مَن لم يُفرّق بين الظاهر و الباطن، السماوي و الأرض، فلا دين له و لا عقل، استحالة. هذا أساس كل الأديان.

أين الصعوبة و التخبيص لم أفهم.

أعقد من كلامي، كلام مثل "كلوا لحمي و اشربوا دمي". مَن لم يجد صعوبة في هذا، لا يجد صعوبة في ذلك...إلا إن وجد غرض نفساني ! (و ضحكت).

فقال: بابا صدّقني أنك تخطّيت جنون محمد بآلاف الأميال. و أنا واثق أنك لو كنت في زمنه لكان أبو بكر و علي و عمر شالوه و رموه من أقرب وادي و عيّنوك نبي هذه الأمة. (و ضحك).

فقلت بعد أن ضحكت:

عرفتَ فالزم.

وراء كل سخرية، حقيقة دقيقة.

كتب شوبنهور الفيلسوف الألماني ما ترجمته:

حين تعجز عن الردّ على النص،
هاجم و اسخر من نفس الشخص.
ثم أنشدتُ:
سقى الله مُحمّداً كأسا من الخمرْ،
واسع عظيم محيط من ألف بحر،
قد سقانا حبيبنا منه شيئا كالقطر،
حين التقينا به حقّا في ليلة القدر.

بلى العاشق مجنون منذ القِدَمْ،
جنونه فيّاض بفصوص الحِكَمْ،
رقصتْ لطربنا أرواح كل الأمم،
تمايل سُكراً حتى الجبل الأشمْ.

في كل زمان لله رجال كالياقوت،
يفتحن لهم و بهم أبواب الملكوت،
هم تجليات و مظاهر نور الجبروت،
فلتستمسكن بهم قبل حلول الموت.
فسَكَنْ الرجل.

و قال صديقي حين قرأ الأبيات الأخيرة: جعلنا الله خرقة لمسح ما قد اندلق في ذاك الحان.
فقلت: بل جعلك الله كأسا يفيض منه ألف باب من العرفان.

...
أهات الخلائق غير مُعتَبَرَه،
كذنوب المُشرك غير مُغتَفَرَه،
نحن كدُمى و جيفة مُحتَقَرَه،
يفعل الله ما يشاء بذاتِه.

قل أي فرق إن كانت لك فِكره،
إن رَضِيَتْ أو لم ترَضَ العَشَرَه،
أنها غير مائة بل مجرد عَشَره،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

أنت عدم و هو وحده الشئ،
أنت فقر لا تملك أدنى شئ،
أنت عاجز لا تُحرّك أي شئ،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

لا يعجبك منّي هذا الكلام،
و هل يتغيّر الحق بالأحلام،
قد أنبأتُك بمكاشفة الأعلام،
و خلاصة زبدة لبّ الإسلام،
هو حق أنت محكوم بالإعدام،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

اقفز اضرب اصرخ و لازم الصياح،
ابك اسخر اشتم اكفر إلى الصباح،
اذكر اسجد صلّ صُم الزم الانطراح،
لا فائدة فالليل لا يُفيد نورا للمصباح،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

أي تراب ما لك و رب الأرباب،
يا قشر أين قيمتك عند اللباب،
هل السلطان يستشير الكلاب،
هل للغريب مدخل بين الأحباب،
أم يُمزَج بالعلقم غالي الشراب،
أنت رملة شاردة في بحر عُباب،
اصمت و اصمت اعقل الكتاب،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

يا خبيث لم تستنتجِ من أنانيتك،
ثم تطمح بجرأة لمجاورة سادتك،
لوّنت خدودك ثم تفاخرت بصحّتك.
سرقت لحية عنز و آمنت بمشيختك،
استأجرت عاهرة و صدّقت برجولتك،
آه ثم آه منك و من السفهاء أمثالك،
لكن ماذا نقول إن أراد هكذا ربّك،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

نعم قد ابتُلينا بالعيش في زمان نحس،
في قوم لا يعقلون و لا عندهم أي حسّ،
ليسوا بآدميين بل حمير يُحرّكهم الرفس،
لا يُفرّقون بين باعث إبليس و روح القدس.
عقل أشرفهم كبريتة و يحسبه كالشمس،

يغتصبون الأرواح كفعل قوم لوط بالأمس،
فتجلى المُنتقم و أصاب أعينهم بالطمس،
ما فائدة الاعتراض و قد علمنا بالحَدْس،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

أخي هذا بيان لا نهاية لطوله،
إن شاء ربّنا فلا يتحدد تنزيله،
و أطول منه مدّ دقائق تأويله،
لكن تلخيص الأمر من تجميله،
هذه زبدة عقلي بعد تحليله،
يفعل الله ما يشاء بذاته.

قال: مَن هم العشرة المذكورين في المقطع الثاني؟
قلت: مجرّد مثال على أن الحقيقة الذاتية النهائية لكل شئ من الموجودات هي مثل حقيقة المعدودات. كما أن 10 هي 10 و لا يمكن أن تكون 8 أو 90، كذلك حظّك من الكمالات بحسب عينك الثابتة مطلق لا يتغيّر لا بإلحاد و لا بدين.

...

تفسيري لكلماتي بعد ورود الأسئلة، لا يحدّ معنى هذه الكلمات بحدود قاطعة. أنا لا أعلم كل أبعاد ما يخرج منّي. فخذوا هذه التفاسير كاحتمال لا كاكتمال.

...

قالت: ايش معنى أضرحة، و عبدة الأضرحة؟
قلت: الضريح: موضع دفن الأنبياء و الأولياء.
عبدة الأضرحة: مصطلح غبي اخترعه السلفي ليصف المسلمين حين يزورون و يتبركون أو يطوفون بالأضرحة المباركة. (يعني الزيارة و التبرك و الطواف بحجر الكعبة توحيد، و بحجر غيرها شرك!).
ثم أقول:
إن كانت المسلم أعظم حرمة عند الله من الكعبة، كما نصّ النبي صلى الله عليه و سلم.
و إن كان علماء المسلمين و أئمتهم أعظم من عامة المسلمين، كما نصّ عليه القرءان و الحديث كقول داود بعد ذكر اختصاص الله إياه و ابنه بعلم ما "الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين".
و إن كان أهل البيت مثلا هم أعظم من عموم علماء المسلمين، بنصّ النبي الذي أمر بالتمسّك بهم "كتاب الله و عترتي أهل بيتي".
فإذن كيف يكون تعظيم المسلم، و علماء المسلمين، و أهل بيت خاتم النبيين، شركا و بدعة، و لا يكونوا- في أضعف الإيمان- حرمتهم كحرمة الكعبة.
هذا شاهد على عدم فقه القوم. و زيادة.

...

كما أن السلفي حين يكون بيده سلطان القهر يمنع غيره من المسلمين من القيام بشعائر مذهبه و طائفته، كذلك يجب على كل الدول أن تمنع السلفية من القيام بشعائر مذهبها و طائفتها و تُضيّق عليهم أشدّ التضييق. قال الله "و جزاء سيئة سيئة مثلها".

...

معنى أهل الخطوة التي هي كرامة لأهل الولاية:

بينك و بين الله خطوة واحدة. و هي أن تقول "الله". بدليل قول الله في الحديث القدسي "أنا جليس مَن ذكرني". فإذن بينك و بين مجالسة الله أن تذكره فقط. الذكر هو الخطوة. و الولي لا يجد في قلبه الأكوان و العوائق و الحجب، التي تحتاج إلى خطوات و أسفار طويلة لقطعها، حتى يصفو له الذكر و يتجرّد و يشهد حضرة الله تعالى في مجلس الأنس. هكذا حال العوام، يحتاجون إلى أسفار و خطوات كثيرة ليبلغوا ذلك، إن بلغوه. لكن الولي من كرامته على ربّه أنه يصل إلى الكعبة الحقيقية، أي ذات الحق تعالى، بخطوة واحدة، فيحج و يعتمر و هو في بيته، لأنه من أهل الخطوة، ما هي الخطوة؟ هي "الله" !

...

سبحانك سبحانك كيف حجَبتْ،
قصد أوليائك عن الذين حَجَبتْ،
و أنت النور الظاهر ما احتجبت،
تعساً لقوم لا يعقلون.

وضّحنا رسالتك بالرمز و الإشارة،
شرحنا علومك بالكشف و العبارة،
جئنا بشتى ألوان الذكر و النذارة،
تعساً لقوم لا يعقلون.

بالعرفان خاطبناهم فجهلوا،
بالكلام جادلناهم فأعرضوا،
بالفلسفة ناقشناهم فكسلوا،
تعساً لقوم لا يعقلون.

دَعَوْنا لهم كثيراً بظَهْر الغيبْ،
لطمنا أمامهم و شققنا الجَيْب،
تلطّفنا لنرفع عن قلبهم الرّيْب،
تعساً لقوم لا يعقلون.

خذهم ربّي إلى مدرسة جهنّمْ،
لعل الزبانية أبلغ بإحداث الفَهْم،
عاقبتكم يا جُهّال فرض و حتمْ،
تعساً لقوم لا يعقلون.

ردد خليلي في الخلوات،
كثير و كثير من الآهات،
لفتح مغاليق ذي الذوات،
تعساً لقوم لا يعقلون.

لا أبا لكم فلماذا تتعصّبون،
أبدنياكم سرور كما تحلمون،
أم قد وجدتم فيها ما تشتهون،
تعساً لقوم لا يعقلون.

أين أنت ألا يا جبريل،
تعال و اجلب إسرافيل،
و عزِّزْ يا رب بميكائيل،
لإصلاح ما بهذا الجيل،
أضلّهم اختلاف طويل،
ضلّوا باتباع غير نبيل،
هجروا وحيك للأضاليل،
غفلوا و عبدوا الأباطيل،
إمامهم كل هاوٍ ضِلّيل،
فكرهم تقليد غرب ذليل،
بصرهم كالخفّاش كليل،
شيطانهم فوقهم إكليل،
أين أنت ألا يا جبريل،
أحيِي عيسانا بالإنجيل،
لا تُخوّفهم باسم الجليل،
يا الله تجلّى لنا بالجميل،
مَن نُنادي لأجل التكميل،
يا محمد بك كان التنزيل،
يا عليّ بك يكون التأويل،
ربّ بك سرّ التفصيل،
مدد مدد أيها الخليل،
هل هداية بلا دليل،
أم معونة بلا زميل،
كفّ سلطان عن التطويل،
حسبك فلا ينفع قال و قيل،
تعساً لقوم لا يعقلون.

...
(الآن: ٥ ذو الحجّة ١٤٣٨ للهجرة. بعد صلاة الظهر).
حين وصلت للتشهّد الأخير، بعد التسليم على النبي صلى الله عليه و سلم، انفتح لي و خاطبته بالقلب "يا رسول الله أغنني و أنعم عليّ بنورك، و أعذني و أغثني حتى لا أخرج عن طريقك". فتجلّى أمامي في حضرة الغيب و أقامني من جلستي و احتضنني بفرحة عامرة، و قَبَّل رأسي و وجهي، و جاءه شخص معه صندوقا فيه أشياء لم أراها، و أخذ النبي قلادة في وسطها جوهرة عظيمة و قلّدني إياها و وقعت الجوهرة عند وسط صدري فَقبَلها النبي و نفخ فيها فدخل نَفَسَه في صدري من خلالها. و ألبسني تاجا، و وضع في يدي قَلَما ذهبياً، و ألبسني جبريل بأمره من ورائي قفطاناً. ثم قال لي النبي صلى الله عليه و سلم "الآن اخرج على الناس".
...
قال الله للنبي صلى الله عليه و سلم و لآله "إنا كفيناك المستهزئين". و لم يزل ثمّ المستهزؤن. فما معنى الكفاية؟ الجواب: لن يستهزئ بك أحد إلا و سيكون في استهزائه مدحا خفيّا لك.
مثال: قالوا "يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون". فأمرنا النبي "اذكر الله حتى يقولوا مجنون". فالجنون في سياق الذكر مدح. لأن العقل ضد الجنون، و العقل قيد و ربط بهذا الاعتبار، أي العقل من حيث فكره، و لذلك ورد "الذين يذكرون الله..و يتفكرون في خلق السموات و الأرض" فالفكر يتعلّق بالمحدودات، و أما الذكر فيتعلّق بالذات و السمات. فالذكر جنون بالنسبة للفكر، أي تحرر من قيود الفكر لما فوق الفكر لا ما تحت الفكر الذي هو الجنون بالمعنى السلبي. فالنبي و كل ولي مجنون بالمعنى السابق الإيجابي.
مثال آخر: أرسلت لي صورة كتبها ملحد فيها على لسان الله تعالى سخرية "أرجو أن لا تطلبوا مني أن أصلي على محمد الليلة لأني أريد أن أرتاح قليلا" و معها صورة شخص يقول "اللهم صل على محمد و آل محمد" ثم تحتها صورة الإله كما رسمه مايكل أنجلو على ما يبدو و هو يقول "جبريل هات السجادة بسرعة". أين الحكمة في هذه السخرية؟ الجواب: أولا ما لا يفهمه الكثير من المسلمين فضلا عن الملحدين هو معنى الصلاة على النبي. الصلاة على النبي من الله في الأصل هي إنزال الآيات البيّنات عليه، أي تنويره. كما قال تعالى "هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيما" و أختها في سورة الحديد "هو الذي ينزل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم من الظلمات إلى النور و إن الله بكم لرؤوف رحيم". فصلاة الله على النبي هي إنزال القرءآن عليه، و صلاة الله علينا هي من وجه إنزال القرءآن علينا بوسيلة النبي، و من وجه إنزال تفسير القرءآن علينا مباشرة. و للقضية تفصيل أكثر ليس هنا محلّه. هذا أولا.
ثانياً في السخرية ذكر الساخر نداء الله لجبريل لا غيره من الملائكة. و جبريل هو أمين الوحي الذي به ينزل الله الآيات على نبيّه. فقد أصاب الساخر من حيث لا يشعر.
ثالثا طلب سجادة لتفعيل الصلاة على النبي أيضا فيه حكمة. لأن الله يقول "و إذا قُرئ عليهم القرءان لا يسجدون". فالقرءآن هو المسجد الحقيقي، إذ السجود هو التقرّب إلى الله، و التقرّب إلى الله يكون بوسيلة ما، و القرءآن أعظم الوسائل. فالقرءآن هو "السجادة" التي عليها و بها يصلّي العقل "إنا أنزلناه قرءآنا عربيّا لعلكم تعقلون" بتعقّل القرءآن نسجد و نتقرّب إلى النور الإلهي.
رابعا قول الساخر على لسان الله تعالى "أرجو أن لا تطلبوا مني أن أصلي على محمد الليلة" فيه حكمة. فإن الله تعالى قد وعد "ادعوني أستجب لكم". و قد كتب على نفسه ذلك. و في السخرية أن الله

يحتاج إلى ترجّي عباده حتى لا يفرضوا عليه عملا ما، مما يوحي بوجود فكرة الضرورة و أن الضرورة حاكمة على الله تعالى، و هذا صحيح من وجه، و هي ضرورة فرضها الله على نفسه، "كتب ربّكم على نفسه الرحمة" و "من أوفى بعهده من الله". ففعلا الله تعالى لا يستطيع- مع خرق الأدب في العبارة- أن لا يستجيب لعباده إذا دعوه، لأنه كتب ذلك على نفسه و هو صادق الوعد.

خامساً قول الساخر "لأني أريد أن أرتاح قليلا" فيه معنى توقّف الفيض الإلهي و التنوير الرباني على العالَم، و هذا من وجه حاصل، و لو في الأوقات التي يحجب الله فيها أولياءه الذين عندهم نور النبي و القرءان عن الظهور للعالَم أي حين يدخلون في دور الكهف لا دور الكشف، فينعزلون عن الناس بالتالي ينقطع التنوير الإلهي الخاصّ على الناس. و الراحة مثل أي صفة، حين تُنسب إلى الله يتم تأويلها بتأويل مناسب لجلاله و جماله و كماله سبحانه. كما أن القرءان ينسب الرضا و الغضب إلى الله، و ورد نسبة الضحك و التبشش أيضا، و غير ذلك من مشاعر، فلا بأس بنسبة الراحة إليه تعالى لكن بتأويل خاص لا بتأويل جسماني و مادي ككل الصفات الأخرى. و يكون معنى الراحة على عكس العمل، أي الراحة هي القبض، و العمل هو البسط. فحين يبسط الله العطاء للخلق يكون في عمل، و حين يقبض هذا العطاء الخاص يكون في راحة. و قد قال القرءان "الله يقبض و يبسط و إليه ترجعون". و للقضية تأويل آخر، فكما أنه ورد في الحديث القدسي نسبة الجوع و العطش و المرض إلى الله تعالى و كان التأويل هو أن عبد الله جاع و عطش و مرض و أن الله مع وليّه و عبده، كذلك نسبة الراحة إلى الله تصحّ بنفس التأويل، فيكون المعنى أن ولي الله يرتاح فلا يجلب المشقة على نفسه بتبليغ و تعليم الفاسدين المسرفين من الناس، و التعليم هو إفاضة النور المحمدي على الناس، فيكون ما قاله الساخر في محلّه تماما في هذا الزمان الذي لا يستحق فيه أكثر بل معظم الناس أي ذرّة من نور النبي صلى الله عليه و سلم، و لذلك فرض الله على أوليائه الراحة في هذا الزمان و لا تكاد تجد منهم أحدا يُظهر نفسه و ينشر ما عنده علنا و جهراً، لأنهم يريدون-حسب عبارة الساخر المُلهَم- "أن يرتاحوا قليلا". قليلا فقط حتى تأتي الساعة المناسبة لذلك.

سادسا قول الساخر على لسان الله تعالى "جبريل هات السجادة بسرعة" و قد تكلّمنا على جبريل و السجادة، و هنا نتكلّم على "بسرعة". و هذه الكلمة أيضا مُلهَمة، فإن النبي قد قال في الحديث القدسي عن الله تعالى "من أتاني يمشي أتيته هرولة". فالله يُسارع لإفاضة الرحمة، و يحلُم و يُبطئ في صب الغضب. فمن صلى على محمد و آل محمد سارعت إليه الأنوار الإلهية سواء كان في زمان الحداثة أو غيرها.

الخلاصة: كما ترى فإن العبارة مشحونة بالمعارف و إن كان الجاهل الممكور به الذي نطق بها لم يفقه حرفاً مما أنطقه الله به من حيث لم يشعر. "و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين".

...

قال الملحد: (تخيّل لو جاءت "طفلتك" من حلقة تحفيظ القرآن و سألتك ما هو تفسير آية "و كواعب أترابا" نساء ذات أثداء كبيرة و مشدودة، ماذا ستقول لها؟ كنصيحة منّي هنا، اعمل نفسك ميّت).

أقول: هذا النوع من السخرية، و إن كان مضحكاً من وجه، لكن من يقوله و ينوي به الجدّ لا الهزل يحتاج أن نجيب عنه بجدّ بعد الفراغ من الضحك للهزل، و لا دين لمن لا يستطيع أن يضحك على مثل هذه الأشياء، فلا تحسب أن العبوس و الغضب دليل إيمانك بل هو دليل ضعف إيمانك و علمك. بهدوء تعالوا نذكر بعض الملاحظات على الرسالة عموماً.

أولا من الجيد أن تبعث ابنتك على حلقة تحفيظ القرءآن، و أفضل منه أن تبعثها على حلقة تدريس القرءآن، فكفاية حفظ و لندخل في الدرس.
ثانيا لصلب المسألة، الطفل لا يفهم الأمور النكاحية و لا الأمور المالية و لا الأمور السياسية و لا الكثير جدّا من الأمور، لأنه طفل. فكما أننا لا نستطيع أن نشرح له السياسة كأن يأتي و يقول لنا لأنه سمع في الأخبار عن حرب و مذابح قام بها "عقلاء" البشر من الملاحدة الغربيين و أشباههم و أشياعهم، و سألتني الطفلة "لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا" فإنني أيضا سيصعب عليّ تفسير ذلك لها، و صعوبة أن تفسّر لها معنى الوحشية و غريزة القتل و الذبح و نهب الأموال و السيطرة عند البشر أصعب بكثير جدا من أن تفسّر لها معنى الآية السابقة أو شئ من معناها بحسب فهمك القاصر. فنصيحتي لك لا تعمل نفسك ميّت، إما أن تؤجل الإجابة و إما أن تجيب بجواب مناسب كما سأذكره لك بعد قليل إن شاء الله و لكن بشرط أن تفهم أنت أولا معنى الآية حقّا قبل أن تهتم بتوصيل المعلومة لطفلتك !
ثالثاً لا يوجد رجل سليم تقريباً يُنكر أنه يحب أن يرى امرأة ذات "كواعب أترابا" أو تنويع آخر لجسم المرأة كما المرأة لجسم الرجل. باختصار، يوجد شهوة و تلذذ عند الإنسان بالإنسان! هذه معلومة خطيرة على ما يبدو من اعتراضات هؤلاء السفهاء. و أحسب أن أكثرهم لوطي المشرب، ألا تراهم يميلون كثيراً إلى انتقاد الأمور المتعلّقة بالرجل و المرأة، و كأن النكاح و لذّته و شهوته و متعته أمر غريب جدّا. هذا فقط غريب حين ينتقدون الإسلام. لكن إذا فرغوا من ذلك، بل حتى قبل ذلك الانتقاد، تراهم يدعون إلى التحرر الجنسي و الإباحية أو شئ قريب منها. يا سبحان الله، يعني نكون متشددين في الجنس تقولوا تشدد و تزمّت و كبت، و نكون متحررين في الجنس تقولوا شهوانية و ماذا سنقول للطفلة! لا يمين و لا شمال. لا ينفع مع المعاند الفكر، لا ينفع معه إلا سقر.
رابعاً القرءان في الأصل نزل للناضجين و البالغين و الراشدين. "لقوم يعلمون" و "لقوم يعقلون". فكما أننا لا نعترض على كتب البيولوجيا التي فيها وصف دقيق لأدقّ مداخل الفرج و القضيب و الدبر (و الثدي الذي أتعب هذا المسكين مع طفلته)، كذلك نقول هنا. و لعل هذا هو السبب الذي يجعل الناس تختار أن تُحفّظ أولادها القرءآن في الصغر، ثم تُدرّسها تفسيره في الكبر. هو توجّه جيّد عموما، لكنّي أفضّل لنفسي و لأولادي إن شاء الله توجّها آخرا سأذكره بعد قليل بإذن الله. فإن سألتك الطفلة ما معنى كواعب أترابا قل لها "امرأة جميلة" و كفاية، فيكون جوابا صحيح إجمالا و من حيث المبدأ، و دع التفصيل و الدقائق لحين تكبر طفلتك، و لعلها تصير هي نفسها من مظاهر "كواعب أترابا" فحينها تستغني عن استفتائك عن معنى الآية من حيث اللغة بقراءة المعاجم و من حيث الواقع بالنظر في المرآة.
خامساً إشارة لمعنى الآية و بقية الآيات التي تتحدث عن الجنّة تحديداً و الآخرة عموماً. القرءآن حقائق في صورة أمثال، و الأمثال لتُحدث أثرها يجب أن تكون معروفة و مقبولة عند المضروبة لهم الأمثال. فلا فائدة أن يقول القرءان للعرب "أفلا ينظرون إلى الكنغر كيف خُلِق". لأنهم لم يروا كنغرا في حياتهم. لو نزل القرءآن في استراليا قد يقول لهم "أفلا ينظرون إلى الكنغر كيف خلق". الحقائق المجرّدة لا تنحصر في الأمثال، لكنها تظهر و تتقرّب بالأمثال. حسنا. الآن القرءآن يريد أن يوصّل فكرة مجردة تقول أن النعيم في الطور القادم من الحياة سيكون نعيما عظيما. بما أن عموم الناس لم يشهدوا ذلك النعيم العظيم الأخروي، بحكم وجود الغطاء على عين البصيرة و القلب و حجب المادة و الخيال و قيود هذا الطور من وجودهم، فماذا يفعل؟ قد قال القرءان "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين". فحيث لا تعلم النفس حقيقة ما في الآخرة، فالطريقة الوحيدة الباقية هي أن نُقرِّب لهم ذلك المعنى بصورة و مثال

من الدنيا. فإذا نظرنا في الدنيا، وجدنا الرجل العربي عموماً يرى من صفات كمال المرأة أن تكون مصداقا ل"كواعب أترابا". و العربي يعشق المرأة، و المعلّقات مثلا تكشف ذلك و هي معلومة شائعة عن العرب لا تحتاج إلى إثبات. فأعظم اللذات عند العربي عموما هي المرأة. فحين تريد أن تصف للعربي شيئا من اللذات، فأنفع ما يصلح له و يقرّب ذلك المعنى لفهمه ثلاثة أشياء: المرأة، و الخمرة، و السلطة. في المرأة و الخمرة قد قالوا ما هو معووف، و في السلطة قالوا "الإمارة و لو على الحجارة" و كان كل عربي- و إلى اليوم- يرى نفسه كملك، و لذلك لم يوجد قبل الإسلام سلطة تجمع بين العرب كلّهم، و هذا أيضا معلوم. فجاء القرءآن في وصف الجنّة بأمثال من هذه المجالات الثلاثة. فقال في المرأة "و حور عين" و "كواعب أترابا" و "لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان" و ما أشبه. و قال في الخمرة "و أنهار من خمر لذّة للشاربين" و "لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون". و هكذا ذكر وجود إيجابيات الخمرة بدون سلبياتها للدلالة على صفو اللذة الأخروية بدون أي من الكدر الموجود في الدنيا. و قال في السلطة "فإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيما و مُلكا كبيرا" و قال أهم من ذلك "لهم ما يشاؤون فيها" و هي آية السلطنة العظمى إذ ما السلطة إلا نفاذ المشيئة و قد أثبت نفاذ مشيئتهم في الجنّة و ورد في الحديث القدسي و هو من ثمار هذه الآية القرءانية "يا عبدي، كن لي كما أريدك أن تكون، أجعلك خالدا في الجنّة تقول للشئ كن فيكون" أو كما قال سبحانه. بمثل هذا الأسلوب البليغ في توصيل الأفكار المجرّدة، عرف العرب ما عرفوه، و أخذوا بالدين و إلى يومنا هذا و لله الحمد. فلا يأتي كافر لا يعرف آخرة و لا روحانيات و لا مجرّدات، و لا يعقل التواصل و فنونه و طرقه، ثم يعترض فقط لأن السفيهة الصغيرة سألته سؤالا غبيا مثلها و مثل أبيها. الحقيقة أكبر و أولى منك و من طفلتك أيها التافه.

خامساً طريقتي هي إخبار الطفل و الطفلة عن الوجود كما هو، و لا يهمّ العمر. الطفل حين تخاطبه ككبير ينضج عقله و يكبر أسرع من غيره. و لا يوجد أي "عيب" و لا حرج في أن تتكلّم مع الأطفال عن أي شئ عموماً. و يا ليت السفيه اختار سؤالا صعبا و آية أصعب من هذه، لكنه اختار آية من أسهل ما يكون. هكذا سأجيب لو كانت طفلتي- بعد شرح ما تقدّم طبعاً بأسلوب مناسب لها- "في الجنّة كل إنسان ينال ما يحبّه و يتلذذ به. كما أنك أنت تحبّين الدمى و السكاكر، و أخيك يحبّ السيوف و الخناجر، و أنا أحبّ الكتب و الدفاتر، و أمّك تحبّ الملابس و الجواهر، كذلك الرجل عادة يحبّ المرأة الجميلة التي تهتم بنفسها و التي لها خلقة حسنة، و من الخلقة الحسنة أن يكون الثدي الذي أرضعتك أمّك منه و تعلّقتي به لفترة طويلة لتعيشي و تأكلي، يحب الرجل أن يكون كبيرا و مشدودا، كما أن المرأة التي لها شعر طويل قد يحبّها بعض الرجال، أو التي تكون نحيفة، أو التي تكون نظيفة و رائحتها عطرة، كذلك يحبّ التي لها الوصف الذي ذكرته لك".

سادسا و أخيرا للتنبيه، لولا أن وصف "كواعب أترابا" هو وصف مهم لعموم الرجال، و تفهم المرأة أنه وصف مهم، لما كانت عمليات تجميل الثدي و نفخه و شدّه و رفعه هي من أشهر و أبرز عمليات التجميل الاختياري التي تقوم بها النساء حتى الجميلات منهن في بقية جسمهن. و ليس من العجيب أن الذين يعترضون على "كواعب أترابا" في القرءآن، كالغربيين مثلا، هم الذين اخترعوا عملية التجميل التي تصنع الكواعب و هي أهم عملية تجميل تتم، و في أمريكا وحدها يوجد تقريبا ٥٪ من النساء، أو ١ من بين كل ٢٦ امرأة قد عملت هذه العملية لسبب أو لآخر، يعني عشرات الملايين من النساء، و أما في بقية العالَم فحدّث و لا حرج.

الحاصل: انظر لوصف "كواعب أترابا" من ناحية مادية أو تمثيلية أو ما شئت، فهو وصف مناسب و في محلّه و لا يستطيع أن يعترض على صحّته مؤمن و لا ملحد. "فلله الحجّة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين".

...
فتحت كتاباً فسلّمت على روح الكاتب المتوفى، فأُشهِدته مُتعجّبا تأتيته تُحفاً لم يسبق أن جاءته، فسأل فقيل له "هذه من عند قارئ لكتبك سلّم عليك" فتعجّب من ذلك.

...
(خَيّاميّة)
{دع عنك حرص الوجود و اهنأ،
إن أحسن الدهر أو أساءَ.
و اعبث بِشَعر الحبيب و اشرب،
فالعُمرُ يمضي غداً هباءَ}.

الوجود في الشطر الأوّل ليس الوجود المطلق لكن المقصود الوجود ضمن الدهر المرادف للزمان، بدليل ذكره للدهر و زوجية الإحسان و الإساءة و لذكر العمر و الموت، و كل ذلك يدلّ على أن خطابه لشخص حريص على الماديات.

من الغريب أن الغرب الحداثي الذي لا يعترف بغير الوجود المادي لم يستغلّ هذا الوجود بالقدر الكافي لمتعته على عكس ما يظنّ العوام حين يشاهدون التلفاز و ما تفعله قلة قليلة من الغربيين. الواقع أن معظمهم يرزح تحت نير الديون و الوظائف المملة القاتلة للنفس و الروح، و ما يظهر من السكر و القفز الجنوني في نهاية الأسبوع ليس إلا صرخة مستميت لا تلذذ الأحرار. كيف جاز في عقولهم أن يحصروا وجودهم في الماديات، و مع ذلك يخلقوا نظام الوظائف الخبيث المعقّد هذا الذي يجعل أحدهم يعمل لخمسين أو ستين سنة حتى التقاعد و على أمل أن يستمتع في ما تبقّى له من عمره الكئيب بعد أن اعتادت نفسه على الوظيفة و الخروج من هذه العادة هو بحدّ ذاته تحدّ عظيم لا يخرج منه مُظفرا إلا القلة. الحداثي يشتم الذين يعيشون في الجزر النائية و الشرقية و هم شبه عراة يتلذذون بالطبيعة و ثمارها و يحيون حياة مسترخية، و يسمّيهم بأسماء مثل "بدائيين" و "غير متحضرين" و ما أشبه، ثم الحداثي إذا أراد أن يأخذ إجازة من حياته "الحضارية" هذه يترك كل شئ و يأخذ أولاده و يذهب إلى تلك الجزر "الهمجية" و يحيا شبه عار تحت الشمس عاطل باطل لا يعبأ بشئ! أي ابن الكافرة، إن إجازتك هي حياته اليومية، و حياتك اليومية هي نار حامية، فمَن منكم يعيش في حالة همجية و من منكم يعيش في حالة حضارية !
لماذا كتبنا هذه الفقرة؟ لأن أبيات كأبيات الرباعية السابقة هي التي جعلت الخيّام رضي الله عنه مشهورا و محبوبا في الغرب بداية من انجلترا ثم إلى بقية البلاد كأمريكا الجنوبية فالشمالية. فهنا الخيّام حسب فهمهم يقول: لا تهتم بأي شئ، خذ شعر الحبيب بيد و الخمر بيد و تلذذ، و كفى. أي مذهب الإباحية إن شئت. (و إن كان لا يوجد مثل ذلك في شعر الخيّام، لكن القوم يريدون الخروج من سجنهم، و السجين يتسلّق الشوك ليخلص إن اضطُر لذلك-الشوك هنا تحريف كلام الحكماء). لكن لا بأس. لنأخذ الرباعية على المعنى الذي يريدونه. حسنا. ما المفروض أن يقوموا به؟ الجواب: المفروض أن

يخترع الغرب أفضل حياة مسترخية لامبالية بالتعقيدات، و تركّز على اللذات و الرومانسيات. فهل هذا ما حدث؟ الجواب أوضح من أن يُقال. حياتهم بل عيشهم في داخل مدنهم أعقد من المعقّد، عيش ضنك آلي و مقيت إلى حد كبير جدّاً، و هم يشتكون من ذلك بأنفسهم و اقرأ و اسمع ما يقولونه لترى ذلك بنفسك. و مع الزمن تزداد حدّة الانتقادات في داخلهم و ما أبرموه بالأمس نقضوه اليوم، و ما عظّموه بالأمس احتقروه اليوم، و على هذا النمط. فحتى حين أخذ القوم شئ من كلمات الخيّام لم يُحسنوا صناعة شئ بها ذو بال. أقصا ما فعلوه يمكن أن يفعله أدنى عربيد في زقاق من أزقة بيروت أو القاهرة، سكر و عهر و لا مبالاة بظهر و لا فجر. يا للإنجاز ! الانجليزي الذي نفسيته عادة أخبث و أثقل من أنفاس إبليس هو وحده الذي يحتاج إلى الأشعار ليتحرر قليلًا و يخرج من تزمّته البغيض، و إلى أين خرج؟ من غرفة نومه إلى حَمّامه !

هذا فيما يتعلّق بالغرب. الآن إلى التأويل الإشراقي و هو العمدة و فيه الفائدة.

{اعبث بشعر الحبيب و الشرب}. الحبيب هو الحق تعالى. شعره هو أسماؤه الحسنى. العبث بشعره هو أن تدعوه بأسمائه الحسنى و تشاهدهاو تمسّ آثارها الكونية. و بعد أن تدعوه سيستجيب لك كما وعدك، و هو الشرب.

أما كون الحبيب هو الله فهو قوله تعالى "يحبّهم و يحبّونه". فحقيقة الحب هي حقيقة الله، كما أن حقيقة الغنى كصفة هي تجلّي اسم الغني و هو عين الذات، كذلك في الحبّ. و تتنزّل بعد ذلك صفة الحبّ فتظهر في النبي صلى الله عليه و سلم و هكذا.

أما كون الشعر رمزا على الأسماء، فلأن الشَّعْر على عكس اللحية يدلّ على الظاهر كما أن اللحية تدلّ على الباطن. شعر الرأس يخرج إلى فوق، اللحية تنزل إلى جهة القلب و البطن و المعدة. و الشَّعر كذلك يدلّ على أشعة الشمس، إذ وجه الإنسان كقرص الشمس، و شعره كأشعْتها، و لذلك هوميروس عليه السلام في الإليادة يمدح الشخص بأنه "فلان ذو الشعر الطويل" في كذا موضع، للعلة المذكورة، و كذلك لأن الشعر الطويل دلالة على النبل من وجه آخر و هو أن وجود الشعر الطويل و المحافظة عليه و حسن تهذيبه و جماله و نعومته دليل على الغنى و القوة و عدم العمل في الحقول كالعبيد أي هو شاهد على السيادة، و هذه كلّها صفات إلهية أي الغنى و القوة و السيادة و الحسن. فإذن الشعر أولا هو عبارة على الظاهر، بالتالي ما يناسب الظاهر في الإلهيات هو الأسماء الحسنى لأن الذات غيب و لا تظهر و لا تتجلَّ إلا بالصفات كما قال الحرّاق قدس سرّه:

و لو لم تتجلّ بالصفات لما اهتدى . لعرفانها والله فهم الخليقة

و ثانيا هو عبارة عن أشعة الشمس، كذلك الشمس هي رمز على الذات و أشعة الشمس هي امتداداتها الواصلة لغيرها، و في التأويل أشعة الشمس هي الأسماء التي هي انبساط وجود الذات على الموجودات جميعاً و الكائنات و المخلوقات طُرّاً. و ثالثاً الشعر عبارة عن الكمالات، و الكمالات هي الصفات الإلهية كالقدرة و الغنى و القوّة و العلو التي هي تنزّلات الأسماء الحسنى. فمِن كل وجه، تأويل الشعر هو الأسماء الحسنى.

أما العبث بشعر الحبيب، فقد قال تعالى "لله الأسماء الحسنى فادعوه بها". و الدعاء على التحقيق هو مسّ حقيقة الداعي لحقيقة المدعو، أي وجود صلة ما، و لولا الصلة لما وُجدت الوصلة، "قل ما يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم". و العبث بشعر الحبيب يدلّ على اللطف و التودد و القرب، و كذلك في الدعاء قيل لنا أن ندعو دعاء لطيفا خفيا، و لا نعتدي، و ندعي بحبّ و يقين و صدق و كل ذلك من القرب. و من فوائد

ذكر هذه الرموز أن يصير عبثك بشعر الحبيب الإنساني هو تذكير بالحبيب الإلهي، لأن الأدنى مجلى الأعلى، فيصير عملك وجوديا و روحانيا و قدسيا لا مجرّد عمل بهيمي على قاعدة "ذرهم يأكلوا و يتمتعوا كما تأكل الأنعام".

أما الشرب، فمن قوله تعالى "ادعوني أستجب لكم". التي تأتي بعد "فادعوه بها". و لذلك وردت في البيت- بتوفيق الله و إمداد الخيّام للمترجم الفذّ-بعد ذكر العبث. إذ هذا هو الترتيب الوجودي، أوّلا تعبث ثم تشرب أي أولا تدعو ثم يستجيب لك، و الدعاء بالحال قديم و بالمقال و الفعال حادث.

و هذا هو التفسير المناسب، لأن الشئ الوحيد الذي يمكن أن يتجاوز إساءة الدهر و إحسانه هو أن ترى الدهر و حوادثه كمجرّد مناسبات لذكر الله بأسمائه، بكل أسمائه، فإن تجلّى باسم جمال شكرته، و إن تجلى باسم جلال استغفرته، و أما تجلّيه بالكمال فدائما حاضر في قلبك لأنه مذكورك و قطب وجودك بل عين وجودك و معشوقك.

أما أن يزعم إنسان بأنه يستطيع أن يكون في حالة سيئة، و يصيبه الدهر بأسوأ الأمور و مع ذلك يجد في نفسه قابلية لأن يجالس الحبيب و يعبث بشعره المادي و يشرب الخمر، فإنه أمر صعب جدّا و في أحسن الأحوال هو تفسير أدنى من السابق الذي يُصيب عين المعنى بشمولية و كلّية و بسهولة و على الأصول القرءآنية.

و الحمد لله.

...

وَ حَقِّك قد تناهينا في الغِوايةْ،
طالت بنا من الأولياء الشِّكاية،
و لم تنفع فينا أنواع السِّعاية،
ما عقلت الأُمّة عن ربّها.

ألم تقرأوا في سورة القمرْ،
أنَّ لكل قوم لابد مِن مِحْوَر،
من لدن الله يكون كالجوهر،
ما عقلت الأمّة عن ربّها.

قد خرجَ فينا كل مُتفاحِل مَجبوبْ،
يرى تعظيم الأوليا إشراك مكذوب،
ألم يقرأ في كتاب مولانا المحبوب،
بأن تعظيم دلائله من تقوى القلوب،
أيّهما خير إنْ لكم الفقه المحسوب،
حجر و مدر أم رُسْل علّام الغُيوب،
قد ضلّوا عن جلالة الولي المطلوب،
مُراد الله بالأزل فهو غير محجوب،
تبعتم الغواة هجرتم أحسن مربوب،
ما عقلت الأمّة عن ربّها.

أي خليلي خذ الحق دع المجازْ،
دع الكون و خذ دلائل الإعجاز،
الدين ثمرة الأولياء له كالأعجاز،
المتمشيخون كُثر العارف كالباز،
الآيات لآلئ و العاقل هو الخرّاز،
ما لنا و ربّ السما بدونه إعزاز،
هذه حقائق لا تقل هي ارتجاز،
لست شاعرا لا فحلا لا خازباز،
بل أنا بلد المُقَدَّسات كالحِجَاز،
بجُنْد النور القاهر للباطل غاز،
علَّمني ربٌّ التطويل و الإيجاز،
خذ عنّي و أنفق خُمس الرِّكاز،
إنْ جهلتْ لكَ مِنّي أَحرّ التَّعاز،
أنت تحت و كلامي عالِ الطِّراز،
لهثتَ للُّدنيا يا لِشرف الإنَجاز،
صاحب القرءآن هو الذي فاز،
أيا أعمى تعلّمه فهو لك عُكّاز،
هذا هو الحق ما هو بمَجاز،
ما عقلت الأمّة عن ربّها.

...

(مقارنة بين العلم و الحكمة)

قرأتُ في كتاب مواقع النجوم لشيخنا سلام الله عليه أن العلم له {الشرف التامّ}. و فضّله بشواهد نصّية و عرفانية على كل صفة سواه و حتى على المعرفة. و تفضيل العلم و جعله أشرف الصفات هو ديدن الشيخ في كتبه كالفتوحات.

ثم قرأتُ في كتاب شرح الأسماء الحسنى لخليفة شيخنا رضي الله عنه أي القونوي في اسم الحكيم جل جلاله أن {الحكمة أعلى رتبة من العلم عند المُحقق}. و فضّله بشواهد نصّية و عرفانية.

فسألتُ نفسي أي ربّي: فأيهّما أشرف العلم أم الحكمة؟

فأجابتني بما يلي: ارجع للقرءآن ففيه نهاية العرفان.

فرجعتُ للقرءآن فوجدته يقول التالي:

أما العلم فإنه أثبت وجوده لكل موجود مطلقاً من الوجود الحق إلى أدنى الموجودات. فقال تعالى عن ذاته "و هو بكل شئ عليم" حين ذكر الأعيان الثابتة مقترنة بذكر هويّته المقدسة في سورة الحديد. ثم نسب العلم حتى لجهلة أهل الدنيا و سكّان أسفل سافلين فقال في آية "فرحوا بما عندهم من العلم" فأثبت وجود العلم عندهم بالرغم من معارضتهم للرسل و كفرهم بالأنبياء، و قال في أخرى "فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا و لم يرد إلا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم" فأثبت صفة العلم حتى لمن قال عنهم أنهم أضلّ سبيلا من الأنعام. ثم عمم نسبة العلم للموجودات مُطلقاً فقال عن كل شئ "و إن مِن شئ إلا يُسبّح

بحمده" و قال "كُلٌّ قد علم صلاته و تسبيحه" فكل شئ عنده علم، فالوجود مُساوق للعلم و العلم مُساوق للوجود لا يفترقان ذاتا و واقعاً. و توجد آيات أُخَر لكن ما تقدّم كاف لإثبات المطلب. و قرر في آية الرفع "يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات" فأثبت وجود درجات للعلم، فالعلم صفة لها درجات، كما عزز هذا المعنى بقوله "و فوق كل ذي علم عليم". إلا أنه ليس في القرءان لفظة "علوم" أي العلم لا يتعدد في ذاته، كما أننا لا نجد في القرءآن ألفاظ مثل "أرواح" و لا "أنوار"، و هذا ليس صدفة فإن استعمال الجمع في هذه الكلمات من قبيل المجاز و التجوّز و التحقيق هو ما استعمله القرءآن إذ الحق هو وحدة هذه الأمور و ما ظهورها في مجال كثيرة إلا كشخص واحد وقف أمام عشرة مرايا فتكثّرت صورته لكن بقيت حقيقته واحدة.

أما الحكمة فلم يرد فيها ما ورد في العلم من تعميم سواء على مستوى الناس أو غيرهم من الموجودات. و إن كان قد نسب الحكمة إلى ذاته تعالى فقال عن نفسه أنه "الحكيم"، لكنه لم ينسب الحكمة لكل الموجودات، بل صرّح بأنها أمر خاصّ حين قال" يؤتِ الحكمة مَن يشاء و مَن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا و ما يتذكّر إلا أولوا الألباب ". و قال في سورة الإسراء" ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة " و لم تكن إلا معلومات مقترنة بعمليات، و كذلك فعل في أوّل سورة القمر إذ قال" و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة " فالأنباء علم و الازدجار إرادة فَعمَل، و سمّى كلاهما "حكمة " كما فعل في الإسراء. و كذلك لو أعدنا النظر في آية إيتاء الحكمة سنجد أنها خُتمت بذكر أولي الألباب، و حين ذكرهم في سورة آل عمران قال عنهم "أولوا الألباب الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا فقنا عذاب النار " فجمع هنا بين العلميات أي العلم بالحق و بالخلق مبدأً و معاداً و بالنفس، و بين العمليات أي العمل بالذكر و بالفكر و بالدعاء و عمل الأجسام و عمل القلوب. و من الثابت أن ليس كل إنسان هو من أولي الألباب فعلياً، فأولي الألباب طبقة خاصّة من دون البشر، و يزيد هذا تأكيداً مع ظهوره التامّ قوله تعالى عن داود "و آتيناه الحكمة" و قول داود عن نفسه و ابنه "فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين" و الذي يُشعر بأن التفضيل هو لمزيد علم أو لوجود الحكمة الخاصّة أو لكلاهما. و على عكس العلم الذي أثبت أن له درجات لا توجد آية في القرءان تنصّ على وجود درجات من الحكمة من قبيل: و فوق كل ذي حكمة حكيم، و إن كان المعنى معقولًا و له شواهد لكننا نتكلّم عن النصّ على ذلك. و على عكس العلم الذي حين نسبه القرءان إلى الكثير كما في قوله "و الملائكة و أولوا العلم" أفرد العلم و لم يقل: أولوا العلوم. بينما في الحكمة المقترنة بأولي الألباب في آية قال "أولوا الألباب" فكثّر الألباب و لم يقل: أولوا اللب. فالعلم وحدة حتى لو نُسِب إلى كثير، بينما اللب كثير حين يُنسب إلى كثير. لكن العلم حقيقة واحدة لها درجات بحسب العلماء، و الحكمة كذلك واحدة و لا يوجد في القرءان جمعها في "حِكَمْ " و حتى حين ذكر الكثير من الحكم كما في سورة الإسراء لم يختم إلا بقوله "ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة" إلا أن التجزئ الوارد في لفظة "مما" يوحي بوجود أكثر من حكمة، فيُحمَل قوله "من الحكمة" على الحكمة كصفة إلهية كقوله تعالى عن صفة العزّة "فلله العزّة و لرسوله و للمؤمنين". فالصفة الإلهية واحدة و فيها أشعّة كثيرة، و في كل شعاع تظهر الصفة بحقيقتها الكاملة و لذلك لا تتكثّر الصفة لفظا لعدم تكثّر الحقيقة الخارجية واقعاً.

فإذن العلم مساوق للوجود بالتالي هو في كل موجود و جميع الخليقة، بينما الحكمة خاصّة و الحكمة في حدّ ذاتها علم و لكنّها زيادة على ذلك مشتملة على العمل إذ ما كل علم يظهر ما يقتضيه من عمل

بنفس العلم لذلك قد تعلم بالشئ و لا تُحسن استعماله و إن كان كل علم يقتضي أعمالا ما و لذلك قال "جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر" أي في ذات النبأ ما يقتضي الازدجار لكن هنا مسكوتا عنه و هو افتراض أن الإنسان سيطلب النجاة بدلا من الهلاك أي اللذة بدلا من الألم و مبرر الافتراض هو المعرفة بطبيعة النفس الإنسانية و فطرتها فهو مسكوت عنه لفظا معلوم بداهة.

الحاصل : إذا أردنا أن نُفاضل بين العلم و الحكمة فستختلف المفاضلة بحسب اختلاف الزاوية؛

- إن نظرنا من زاوية الأعم و الأخصّ، و كون الأعم أشرف من الأخصّ لأنه أوسع وجوداً منه، و الواسع اسم إلهي فما كان أقرب إليه كان أفضل من غيره، فستكون النتيجة أن العلم أفضل من الحكمة، لأن العلم عام في الموجودات.
- إن نظرنا من زاوية الكمال و النقص، و كون الأكمل أشرف من الأنقص لأنه أكمل منه، و الكامل العظيم اسم إلهي و لله الأسماء الحسنى و هي الكمالات الوجودية، فستكون النتيجة أن الحكمة أفضل من العلم، لأن الحكمة بالنسبة للإنسان هي كمال العلميات و العمليات و حصول المعيشة الممتعة و الحيوة الطيبة و الآخرة السعيدة إنما يكون بالحكمة لا بمجرّد العلم الذي قد يكون عند الإنسان منه شيئا و مع ذلك يتّخذ إلهه هواه و يضلّ وَ يكفر بالأنبياء و الرسل وَ يكون ممن يعلم ظاهراً من الحيوة الدنيا و هو عن الآخرة من الغافلين. بينما لم تُنسب الحكمة في القرءان لشقي مطلقاً. قد أعطى الله العلم لشقي، و أعطى حتى اَياته لشقي كما في الكلب المنسلخ، لكن ما وجدنا الحكمة في القرءان تُعطى إلا للصفوة و المصطفين كلقمان و داود خليفة الله و خاتم النبيين، و نُسبت حتى للقرءآن العظيم كما في قوله "يس. و القرءان الحكيم" و "الذكر الحكيم". فيوجد العلم مع النقص، لكن لا توجد الحكمة إلا حيث الكمال. و يوجد العلم مع الشقاء، لكن لا توجد الحكمة إلا حيث النجاة و السعادة العلياء. و العلم يتعلّق بالجانب المعلوماتي النظري المعرفي بالفعل و لا يتعلّق بالجانب العملي الإرادي الفعلي إلا بالقوّة و الإمكان و الكمون، بينما الحكمة تتعلّق بالجانب المعلوماتي و الجانب العملي بالفعل و التحقق، فهي أكمل من العلم مجرّدا من هذا الوجه، أي الحكمة هي العلم و تفعيل مقتضيات العلم في كل مجال يظهر لهذا العلم أثر أو ينبغي أن يظهر له أثر.

الخلاصة: قول الشيخ ابن عربي حقّ و قول الشيخ القونوي حقّ. ابن عربي تكلّم بالأصل، القونوي تكلّم بالفرع. ابن عربي تكلّم من زاوية صحيحة، القونوي تكلّم من زاوية أخرى صحيحة أيضاً.

فالحمد لله على أولياء الله،
و الحمد لله على تفهيم الله.
علماء أضاؤوا لنا الطريقة،
ما اختلفوا إلا تكاملا بالله،
نجوم هداية أبراج رعاية،
جنان معرفة أخلصوا لله.
تمسّك بهم سلّم تسليما،
احذر شؤم الرد على الله.
إن استغلق عليك بيانهم،
فقل الغوث الغوث يا الله.
و لن تُعدَم تنويراً شافياً،

فالقوم منازل رحمة الله.
صلّ ربِّ ما تنفّس كائن،
على مَن هو وسيلتنا لله.
...
سبحانك سبحانك كيف حَجَبْتْ،
قصدَ أوليائك عن الذين حَجَبْت،
و أنت النور الظاهر ما احتجبتْ،
تعساً لقوم لا يعقلون.

وَضَّحْنا رسالتك بالرمز و الإشارة،
شرحنا علومك بالكشف و العبارة،
جئنا بشتّى ألوان الذكر و النذارة،
تعساً لقوم لا يعقلون.

بالعرفان خاطبناهم فجهلوا،
بالكلام جادلناهم فأعرضوا،
بالفلسفة ناقشناهم فكسلوا،
تعساً لقوم لا يعقلون.

دَعَوْنا لهم كثيراً بظهرِ الغيبْ،
لطمنا أمامهم و شققنا الجَيْب،
تلطّفنا لنرفع عن قلبهم الرَّيْب،
تعساً لقوم لا يعقلون.

خُذْهُم ربّي إلى مدرسة جهنّمْ،
لعل الزبانية أبلغ بإيصال الفهم،
عاقبتكم يا جهّال فرض و حَتْم،
تعساً لقوم لا يعقلون.

بعد أن قرأ عَمِّي هذه السطور-و هو ممن يقرأ ما نكتبه- قال: ما شاء الله عليك..عندك ثروة ما شاء الله عليك نشرها. (و حثّني على ذلك بقوّة).
فقلت: الله أمر النبي بالنشر على خمس مراحل.
المرحلة الأولى نشر العلم في داخل نفسه هو. "عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم".
المرحلة الثانية النشر في مَن حوله من أقربائه و أصحابه. "أنذر عشيرتك الأقربين".
المرحلة الثالثة النشر في بلده خاصّة. "أنذر أمّ القرى".
المرحلة الرابعة النشر في بلاد العرب عموما. "و إنه لذكر لك و لقومك".

المرحلة الخامسة النشر في الأرض كلها. "إني رسول الله إليكم جميعاً".

على أهل العلم اتباع نفس السنّة. و نحن الآن في المرحلة الثانية بعد أن قضينا عشر سنوات في المرحلة الأولى. الإذن الإلهي هو الذي يُحرّكنا مَن مرحلة إلى التي تليها.
(فلما قلت له ذلك، رضي).

...
ما جَدَّ جادّ ما جاهد مُجاهدْ،
ما شقي شاقٍ ما تعبّد عابد،
لا من الحضر لا من زمنٍ بائد،
لخير من الحكمة المتعالية.

المشتغل بها هو أسعد مشغول،
و نائلها مُتذوّق لمعاني المعقول،
المتفقه بها يعلم بقصد المنقول،
لا خير من الحكمة المتعالية.
ترفع عن قلبك سيئ الحيرة،
تتوفقنّ بها لمحاسن الخِيرة،
بها بالجنان لك أشرف جِيرة،
الخير في الحكمة المتعالية.

الطعام بعد فترة مملولْ،
و المنكاح تراه كالمسلول،
النوّام أقبح من الكسول،
الثري بالمتاعب مشمول،
الأمير بمخاوفه مجدول،
العامّي و لو ببيته مرذول،
كل صنف بالظُّلمة مكبول،
إلا حكيما بالنور مكحول،
لا خير إلا بالحكمة المتعالية.

قال: عظيمة! آخر بيت في المقطع الثاني. ممكن فيه خطأ.
قلت: لماذا؟
فيها معنى مزدوج بالنسبة لي.
الأول لا خير بمعنى لا أفضل من الحكمة المتعالية. كما تقول "الآخرة خير من الأولى".
الآخر لا خير بمعنى لا يوجد خير في الحكمة أي نفي الخيرية عن الحكمة، و المقصود الحكمة حين تكون مجرد تلقين ظاهري و دراسة ذهنية لفظية أي بغير مباشرة و مكاشفة.

لا يوجد تعبير آخر عندي يمكن أن أجمع به بين هذين المعنيين.
لو كانت مجرد نفي للخيرية كما تقول (لا خير في عمل كذا) لكانت بهذه الصيغة (لا خير في الحكمة) كما في قوله تعالى "لا خير في كثير من نجواهم".
قال: وضحت.
...
تعالوا اشهدوا على الظالمين،
يقولون أَلَم تكن من العاصين،
و اليوم تعظنا بمواعظ الدين،
ألا إنك يا سلطان لأفّاك مبين،
الآن استمع لردّ سلطان مبين.
قد قال قولكم طغاة الأوّلين،
كمعارضة فرعون لموسى الأمين،
فعلتَ فعلتك و أنت الكافرين،
فردّ عليه فعلتها و أنا من الضالّين،
فأقرّ بالضلالة إذ كان من الغافلين،
و وزر غفلتي على رؤوس المُربِّين،
و ما ذنبي و إذن كنتُ من العاجزين،
كُلُّنا بِسَفَرٍ من الظلمات إلى اليقين،
كذلك وصف ولاية الله للمؤمنين،
فلتدرسوا البقرة يا بقر المتديّنين،
مِن تناقضهم و يا وقاحة المتناقضين،
تعظيم أبا بكر ألم يكن من المشركين،
تبجيل عمر مُريد قتل تاج المرسلين،
كُلُّنا قبل الإسلام بوعي من الجاهلين،
إن ربّك هو الحكيم التوّاب،
فافهمنّ عنه معنى الخطاب.

كتبدّل الليل للنهار بإشراقاتْ،
يبدّل الله السيئات للحسنات،
يا ربح المكثر من الإسرافات،
فسواد ماضيك من الخيرات،
تحت الظلمة كنز من النيّرات،
و يزهد متذوّق مُر الدنياويات،
حليم ذاك المجرّب للسفاهات،
أمين المميز بحقّ للجاهليات،
العطش يرفع قيمة القطرات،

و الجوع يُعلي ثمن اللقيمات،
الخوف يزيد قدر التأمينات،
الوحشة تعظم صحبة الذات،
الظلام يُعرِّف طبع المنيرات،
بكره ضدّ نتعلّق بالمتضادات،
الجاهلي المسلم بالاعتقادات،
خير الأمّة يستحقّ الترضيات،
المسلم ولادة عادته الافتيات،
إذ لا يميز بين شتى التوجهات،
و إسلامه ملئ بخبث الكفريات،
فيكف إذن نخجل من زمن فات،
قضيناه في وحول أظلم الظلمات،
و أنت ترى ما للتائب من الدرجات،
دع عنك شتائم الجهلة و التُرّهات،
إن تدبير ربّك هو أحسن التدبيرات،
بالحمد على الظلمات وردت الآيات،
فاعقل و أعرض عن ذوي الجهالات،
و اشكر على ما وهبك من الكمالات،
إن ربّك هو الحكيم التوّاب،
فافهمنّ عنه معنى الخطاب.

في الإسلام الأولياء فوق الحَرْفْ،
تعرف ذا إن درست سورة الكهف،
الخضر مُعلّم موسى و لو بالعُنْف،
احذر لا تعترض على أهل الكَشْف،
مِن بحر العلم لهم الغبّ لك رَشْف،
يُعلّمونك يوماً بقهر يوما بالظَّرْف،
يُمِدُّهُم بالضياء فما لعلومهم نَزْف،
وِرْث المفتوح له من كل باب أَلْف،
هذا و بئر مخالفهم بعد قطرة جَفّ،
جالِسْهُم و غُضّ بحضرتهم الطَّرْف،
أبعد ذلك يعترض الأعرابي الجَلْف،
إن ربّك هو الحكيم التوّاب،
فافهمنّ عنه معنى الخطاب.

أنا مَرْجِعْ لا أرجع لأزهر و لا للنَّجَفْ،

لا ديوبند لا فاس و لا إخوان السَّلَف،
قلبي كعبتي تطهيره عملي بلا كَلَف،
ثروتي كتبي و عيشتي ما بها تَرَف،
ذوقي رفيع أُسارع للحسّ بالقَرَف،
بالقرءآن و نبيّه أمسكنا بأعزّ طَرَف،
يصطفي القوي العزيز أهل الضّعف،
ثم يمدهم بأفخر أكمل أجمل تُحَف،
حتى يكونوا للناس آية في الشَّرَف،
و يُعِدُّوا الناس لأهوال يوم قد أَزِف،
ينجو مَن يتّبعهم و يهلك الذي أَنِف،
هذه حكمة لدنية اعقلها لكي تزدلِفْ،
إن ربّك هو الحكيم التوّاب،
فافهمنّ عنه معنى الخطاب.
...
أتريد تلذذا لا ينقطع،
و شهوة عنك لا تمتنع،
و وقت بِكُلِّه ستنتفع،
سأنبئك عنها فاستمع.

اعرِف السبب لتحكم الآثار،
لذّتك ثمرة فاطلب الأشجار،
زوال الشجرة يُزيل الإثمار،
لا شجرة خالدة بهذه الدار،
إلا دوام الأذكار ثم الأفكار.

على ثلاثة أمور يعتمد الناس،
المال و البشر و متع الحواس.
المال منفصل صعب أبو هموم،
جلبه كدّ نيله سدّ حفظه غموم.
البشر رضاهم محال و يموتون،
يمرضون يسافرون يتقاطعون.
الحواس إلى اضمحلال و زوال،
ضعيفة ملولة و أبدا دون الكمال.
فإن كان أصل شهواتك على الثلاثة،
ستتعذب و تضطرب و تنال التياثة.
لكن لو جعلت أصل لذّاتك ذكرا و فكرا،

لما ضرّك بعدها أن تتفرّع بألف و عشرا.
لأن ثبات الأصل مع انقطاع الفروع،
ليس كانقطاع الأصل مع بقاء فروع.
تحتاج إلى سبب قديم أو حادث،
لحصول أثر لبسطك كمثل نافث.

أنت مُعَذَّب لأن أسبابك متغيرة تموت،
افهم "توكّل على الحيّ الذي لا يموت"،
لن ثم لن ثم لن تجد لنفسك من القوت،
خير من ذكر الجبروت و فكر الملكوت.

تأمل في ما أنزلته لك بهذا المسطور،
فإنه الأساس الأعظم لطلبك السرور،
و شفاء الصدور و جبر جميع الكسور،
لن تجدنّ فوقه و لو وقفت على الطور.
...
أنتِ أهم إنسان في حياتي،
ما في غيرك ممكن يؤذيني،
أنت وحدك تقدري تبسطيني،
ليل نهار قلبي بإسمك يغني،
بدونك ما صار يكتمل يومي،
زعلك خريفي و ضحتك ربيعي،
دمعتك مصيبتي حضنك جنّتي،
عيونك ملائكتي صدرك بيتي،
و أردافك حقّتي وحدي و لعبتي،
ما أبغى غيرك ما في أصلا مثلك،
أنت عندي دنياي و آخرتي و ديني،
أنت ريحة محمد و فاطمة و عل.
أنت بحري إلي أسبح فيه،
و نوري إلي أمشي بيه،
شهوتي بيكي شبعت،
أحزاني معك اختفت،
عيلتي لأنك فيها اكتملت.
أنت صاحبتي و مدربتي و زميلتي و شريكتي و تمليذتي و طباختي و كل شئ أبغاه هو أنتي.

يا واحتي وسط القفار،

يا سفينتي وسط البحار،
يا نوري وسط الأشرار،
يا إيماني وسط الكفار،
يا بضعة سيّد الأبرار،
يا روح الواحد القهار،
يا خلاصة المصطفين الأخيار،
يا جنة تجري من تحتها الأنهار،
يا بُغيَتي من كل الأسفار،
الحمد لله على وجودك،
و له الحمد على جودك.
...
إن أردت كمال الجسم و الأناقة،
فهو في الهيئة و القوّة و اللياقة.
الهيئة شكل العضلة و تخطيطها،
و ذلك برَفعة الأثقال و تكريرها.
القوّة قدرتك على ضرب قامع،
كما بملاكمة أو قتال الشوارع.
اللياقة بصحة القلب و التنفّس،
كالجري و السباحة و التشمّس.
هذه رياضات كمال الأبدان،
اجمع بينها بنظام و إحسان.
لا تُبالغ فإنك غير محصور بجسمك،
بل أنت روح و نفس و لتذكرن قبرك.
لا تُجهد عضلاتك كثيرا لتنموا،
الراحة ضرورة و خيرها النومُ.
الراحة و الرياضة و الغذاء،
كمال جسمك بهذه الأشياء.
قد شرحنا لك الرياضة و الراحة،
و سنشرح التغذية بعد استراحة.
...
مَن خرجَ طوعاً و لو بشِبِرّ،
عن آي القرءآن فكأنه كفر.
هو الكلمة على الكل مفروضة،
حتى على سيّد جميع البشر.
هاجِرُه مجرمُ مُحِبُّه كالنبي،
تاركه لغيره زُهداً كأنه انقبر.

أخرب آخرته بيدَي نفسه،
لهلاك نفسه إنه قد حَفَرْ.
القرءآن نور من لدن وليّنا،
و لكسور قلوبنا حقّا جَبَرْ.
غذّى أرواحنا لأنه طبعها،
و بهيمة طباعنا قد نَحَرْ.
ألا أدمِن على تأمل أسراره،
تغنّى به في الظُّهر و السَّحَر.
فتجد طِيب العالَمَين كلاهما،
و عند الرحمن أجمل مُستَقَرّ.
...
الله الوجود و الوجود سرور،
العدم ظلمة أما الوجود نور.
السموات ما علاك و لها الفَرْض،
تتنزّل بالمابَيْن خيالًا و الأرض.
مَثَلُ الشيءَ تمظهرُ لسرِّهِ،
و هو معراج لجوهر نورِهِ.
كمشكاة جسم يتنزّل بها،
معنى الروح و يتجلى فيها.
مصباح الأشياء كلّها الأرواح،
و اسم الله للروح هو المصباح.
في الرغبات تنكشف الحاجة،
و هي لمقامات النفوس زجاجة.
الزجاجة برزخ خيالي لأنها،
عقل مُجَسَّد و لسانها كأنها.
كوكب الكلمة قد أوجب بِرِّي،
بأبي الروحي فهو عَليّ دُرّي.
يوقَد بولايته الإنس و الجِنّ،
فإنّه جواب كُلّ عَن و مِنْ.
شجرة الأسماء الحسنى بلا مشاركة،
مصدر كل ما بالموجودات مِن مُبارَكة.
زيتونة العقل ذات العُلى،
عاجزة بدونه عن نَعَمّ و لا.
شرقية الملائكة باسمه تتجلى،
و تفيض الوحي ذي النَّعَم و لا.
غربية الأنعام وَ كل جماد،

يُنشد أسمائه علنا أو يكاد.
وزيتها و زيت الموجود الوَضِئ،
عين الرحمن به كل شئ يُضئ.
و لو بالفَرَض فرضنا العَدَم،
فلن تتحقق أدنى ذَرّة وَ لَمّ.
تمسسهُ الأشياء إذ هو القهار،
الأشياء هالكة فيه هو مثل نار.
نور حقيقته الواجبة الأسمى،
أقام الأعيان أزلًا في وَ على.
نور أسمائه ذات المدّ الأبدي،
يوجِد و يُحدد يخلق و يهدي.
الله يوصِل كل مخلوق لقَدَرِه،
و بفضلِهِ هدى محمداً لنورِه.
مَنْ كان شمساً لجميع الأنبياء،
تألَّه فني بربه فما شاء يشاء.
وَ يضربُ بسيوفه جماجم الطُّغاه،
وَ يُنفقُ جوداً من خزائن رحمة الله.
الأمثال و تأويلها والأقداس،
ترجع للمرسول رحمة للناس.
والله يشهد له فالأملاك و العقل،
صور الكون و الملل فاعرفه بِكُلِّ.
شئ واحد بقي يا فهيم،
كن ما بقيت كرجل عليم.

تنبيه: هذه التساطير مأخوذة من وحي آية النور الشريفة. إذا قرأت أوّل كلمة من السطر الأوّل، فآخر كلمة من السطر الثاني، فأوّل كلمة من السطر الثالث، فآخر كلمة من السطر الرابع، و هكذا تجري من فاتحة السطر إلى خاتمة السطر الذي يليه و الذي يُكمّل زوجيته و مثنويته و ازدواجيته، ستجد أنك تقرأ آية النور كما أُنزِلَت.

أقول: لاحظ أن سطر "زيتها" توجد فيه "و" لا ينبغي أن توجد، لأن الآية تقول "يكاد زيتها يضئ" و قد كنت أعلم ذلك و لم أقصد ذكر حرف الواو ذلك و لا له مدخل في معنى السطر. لكنّ خرج هذا الخطأ و انتبهت له بإذن الله و إلهامه بعد أن أرسلت هذه التساطير لأصحابي و أقربائي، أرسلتها مع الخطأ المذكور، فلما ضاق صدري بسبب هذا الخطأ و استغربت من وقوعه، أُلهمت بأن سبب هذا الخطأ كان وجود غرور في نفسي نشأ من حسن نظم هذه التساطير و غرابة طريقتها التي لم أُسبَق إليها مِن يوم نزول القرءان إلى يومنا هذا فيما أعلم، و قد كنت أشعر بوجود شئ من هذا الغرور أثناء و بعد نظمي لها و استعجلت في إرسالها إبرازاً لموهبتي البيانية، فضربني ربّي و أحسن تأديبي بأن كسر غروري

بهذا الخطأ و له الحمد على ذلك. ما دخلت النفس الأمّارة في شئ إلا أفسدته، نسأل الله لطفه و عافيته. و لذلك تركت الخطأ في محلّه من المنظومة حتى يشهد كل من يقرأها بذنبي و اعترافي به و لا يقعوا في مثله إن شاء الله.

...

(خيّامية)

{إن تواعدتم رفاقي لأنس،

و سعدتم بالغادة الهيفاءِ.

و أدار الساقي كؤوس الحميّا،

فاذكروني في شربها بالدعاء}

الشرح:

إن تواعدتم رفاقي في الطريقة لمجلس ذكر و فكر. و سعدتم بظهور نور الحكمة عليكم. و أدار الحق تعالى تجلّيات أسمائه على قلوبكم. فأنتم في سرّاء و دعاء أهل السرّاء و الرخاء أدعى للإجابة من دعاء أهل الضرّاء و البلاء لأن الموحّد الصادق هو الذي يذكر الله في السرّاء و لكن حتّى المشرك يذكر الله في البلاء، و لذلك فاذكروني إذ حتى ذكر شخص ما في مجلس الذكر كمثل حضور شخص لا يرغب في المجلس قد تشمله سعة رحمة الله فيغفر له مع أهل المجلس، و ادعوا لي لأن دعاءكم قد جمع شروط الإجابة بفضل الله تعالى. و الشروط و الحسنات هي التالي:

أولا الاجتماع و الحبّ في الله.

ثانيا سلوك الطريقة.

ثالثا ذكر الله و التفكّر في خلقه.

رابعاً طيب النفس و انشراحها و سرورها.

خامسا استنارة القلب بضياء الحكمة.

سادساً شهود الأسماء الحسنى الذي هو مقدّمة الدعاء بها.

سابعا الدعاء للأخ بظهر الغيب.

ثامنا الاعتراف بالفقر و الذي يظهر بالدعاء إذ لا يدعو إلا مُقرّ بفقره إلى المدعو.

{أدار الساقي كؤوس الحميّا} ما وجودنا إلا شرب لمعاني الأسماء الحسنى. و هذا الشرب خمر لأنه يبدّل العقل من حال إلى حال، من حال الغفلة إلى حال الشهود، من حال الجهل إلى حال العلم، من حال الغيبة إلى حال الحضور، و هكذا. تعدد الأسماء جعله يقول "كؤوس" بالجمع. و الساقي هو الله تعالى "و سقاهم ربّهم شرابا طهورا".

الحكمة توصف بأنها {الغادة} لأن الغادة هي الناعمة اللينة الغضّة، و نعومة الحكمة من حيث لطافتها، و لينها من حيث أنه لا إكراه فيها، و هي غضّة لأنها متجددة دائما و كلما عقلت المعنى فهو عقل جديد بالنسبة لك و المعاني الحكمية بكر دائما و ذلك أيضا للسعة الإلهية فلا تكرار في الحقيقة.

و توصف بأنها {الهيفاء} لأن الهيفاء هي تشير إلى الممشوقة الرشيقة التي دقّ خصرها و ضمر بطنها و كذلك أهيف صفة مشبّهة تدلّ على الثبوت، فمن حيث الرشاقة كذلك هي الحكمة بمعنى أن حاملها يكون

صحيح القلب دائما كما أن الرشيق من الناس يدلّ على صحّته و حسنه، و ضمور البطن تأويله مبني على كون البطن الضامرة تدلّ عادة على قلّة الأكل المادي و كذلك هي الحكمة غيبيبة أكثر منها ماديّة و نفس آلة عقلها أمر غيبي إذ العقل غيب حتى حين يعقل الماديات فهو غيب.

قوله {إن تواعدتم رفاقي لأنس} يدلّ على مشروعية تحديد أوقات معيّنة لمجالس الأنس و الذكر. كمثل توقيت الصلوات و صلاة الجمعة و رمضان مثلا. و من الحسن أن يُحدد المجلس بمواعيد يلتزم بها الجميع طوعا و حبّا بلا إكراه نفس و مشقّة لأنه مجلس أنس و عفوية لا انضباط عسكري إكراهي. و لذلك قال {تواعدتم} بمعنى أن كلّكم قد شارك في قرار تعيين موعد المجلس، فليكن هذا هو المعمول به بين الرفاق في الطريقة، حتى يرضى الجميع، فإن الذي لا يرضى بالوقت أو المكان-فإن تعيين المكان من التواعد أيضاً- عاجلا أم آجلا إما سيُلوّث المجلس بأنفاسه و تصرّفاته و إما سيغيب عن المجلس كليّا، و قد جرّبنا الأمرين و شهدناهما. فضلا عن كون مضمون المجلس إجمالا و طريقته يجب أن تكون مقبولة من الرفاق.

ذكر الشاعر أربعة عناصر لمجلس الأنس بعد تحديد زمانه و مكانه الظاهريين: الرفاق، وَ المرأة، وَ الساقي، وَ الخمرة. و تأويل ذلك: الزمان وقت تجلّي نفحات الرحمن. المكان حيث لا مكان. الرفاق القلوب السليمة المنيبة. المرأة النفس الزكية. الساقي الروح القرءآني. الخمرة المعاني الحقيقية. فإن تم ذلك طاب المجلس و هو حقيقة مجلس "أنا جليس مَن ذكرني". فمجلس الأنس كلّه في ذاتك و لا تحتاج إلى أي شئ غيرك فافهم.

قول الشاعر {فاذكروني في شربها بالدعاء} مبني على أن ذكر الإنسان هو نوع حضور له. و أصل ذلك في القرءان قول إبراهيم "و اجعل لي لسان صدق في الآخرين". فلولا استفادته من ذكره مع عدم حضوره المادي، لما دعا بذلك الجعل. فكأن الروح تحضر بذكرها. فتأمله.

...
قالت: لماذا نحتفل بالمولد النبوي؟
قلت: لأن الله قال "قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا" فأمرنا بالفرح برحمته، و من مصاديق رحمته بل أبرزها هو النبي لقوله تعالى "و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". و أما صورة الفرح فإنها تختلف و تركها الله للناس عموماً بحيث لا تخالف أصلا في الطريقة أو الشريعة. كما أنه قال "كلوا و اشربوا" و لم يحدد لنا صورة الأكل و الشرب كأن يقول كم مرّج نمضغ أو غير ذلك من تفاصيل صورية، كذلك قال لنا "فليفرحوا" و ترك لنا تحديد الصورة بحسب مجمل رؤيتنا و قيمتنا و ظروف قومنا. فهذا فيما يتعلّق بالاحتفال بالنبي. أما تخصيص يوم مولده، فإن الله قد ذكر ثلاثة أيام في حياة الإنسان هي أهمّ و أبرز أيام وجوده، كما قال عن يحيى و قال المسيح "و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيّا" فحدد و خصص يوم الولادة و يوم الموت و يوم البعث، أما يوم البعث فهذا لم يأت بعد، و أما يوم الولادة و يوم الوفاة فمعلوم، و لذلك يجب أن يُخصص النبي و الولي في يوم ولادته و يوم وفاته بأعمال و شعائر تُميّزه عن سواه من الناس بدليل أن الله تعالى يفرّق بين الصالح و غيره "سواء محياهم و مماتهم" فلا يجوز أن نُساوي بين مَن فرّق الله بينهم، و الله هو النور الهادي، فمن اتّبع سنّة الله في التعامل مع خلقه فقد اهتدى قطعا، و من التمييز بين ولادة و موت النبي أو الولي و بين غيره أن يُقام في هذين اليومين ما

يميّزه عن غيره، و من ذلك الاحتفالات و التعازي التي يقوم بها الناس. قدوم النبي على مكان يجعله نورا، و خروجه من المكان يجعله من وجه ظلاما، كما قال أنس رحمه الله حين قدم النبي المدينة و حين توفّي و هو حديث صحيح عنه و مشهور، كذلك حين قدم النبي للدنيا و هو يوم ولادته استنار العالَم، و حين توفّي من وجه أظلم العالَم و من وجه قال النبي أن موته خير لنا أيضاً بحيثيات ذكرها، و لذلك يجب أن نفرح في ولادته، و نحزن في وفاته إن كنّا من أهل مشهد الحزن أو نفرح إن كنّا من أهل مشهد الفرح و كلاهما مذهب صحيح بناء على الأصول الدينية. و أما تفاصيل ما يجوز أن نقوم به في هذه الاحتفالات و التعازي فلها تفصيل آخر و يمكن أن تُستخرج من الآيات و الأحاديث ككل شئ في ديننا العظيم علم ذلك من علمه و جهله من أظلم قلبه.

...

(تساطير من عيون أوّل ثمان آيات من سورة القمر. لو قرأتَ أول كلمة من كل سطر نزولًا ستجد أنك تقرأ فواتح سورة القمر)

اقتربت بعَيْني فلمْ أرَ غيرها،
الساعة ساعتي لقد قمتُ بها.
و انشقّ لي كل حجابٍ مُسدَلٍ،
القمر نعلُ خلعتُهُ لإسمٍ مُتَدَلّلِ.
و إنّ حدَّثتُ قومي بها شهدتُه،
يروا رفضي كلامه لأني رددته.
آية صدقي هُيامي و آية بهتهم،
يُعرضوا عن ذكره و شرع ربّهم.
و يقولوا عن أثر الولي في مريدِه،
سحر كبيان متنبي و عمرو و لبيده.
مستمر ظلامهم مُذ كانت السقيفةِ،
و كذبوا و فصلوا الأمّة عن السفينةِ.
و اتّبعوا كل طاغية يخالف أو يوافق،
أهواءهم و في كلاهما لدينهم ماحِقْ.
و كل إمام بالقرءآن ساس الأمّة،
أمر دعوته مجهول لهُم به غُمّة.
مُستقر بعقله في الملأ الأعلى،
و لقد كان خيراً للملّة و للدنيا.
جاءهم باحترام إنسانيتهم فقهروه،
مَن مرض قلوبهم و عُقَدِهِم زجروه.
الأنباء بقلبه تنزيلها و تأويلها،
ما تنحلّ بغيره جميع شبهاتها.
فيه يما يحتاجوه من كمالات،
مُزدَجَر بالإلهام عن الجهالات.
حكمة كل ما يصدر عنه و يكونه،

بالغة غايةً كل مساعيه و شؤونه.
فما عقَلَ مَن هجر القرءآن و أهله،
تُغنِ الحكمةُ العقلَ عن قيدِ ضلاله.
النذر مظاهر العقل و هو الرسول،
فتولّ عن مستحقره فإنه لمرذول.
عنهم عليك بالفرار كأنهم مجذومين،
يوم ينكشف غطاؤك تراهم شياطين.
يدعُ الناطق إلى ذاته أو للذّاته،
الداع لذاته صدوق و لو لآفاته.
إلى اللذة أي للمصلحة ينطق الغاوون،
شيئ يقوله هؤلاء إنما نحن مُصلحون.
نُكْرٌ أمرهم منكرة فكرتهم نكرة ذواتهم،
خُشّعاً عند أربابهم تتنكّر للعامّة أنفسهم.
أبصارهم لمزابل دنيا طمّاحة بها معمورة،
يخرجون في طلبها كأنهم كلاب مسعورة.
مِن خبث أنفاسهم و سطحيّتهم تعرفهم،
الأجداث مركزهم و هي سدرة منتهاهم.
كأنهم و لو تلبّسوا بالعمامات و اللحى،
جراد عذاب روح و ثيران تُدير الرحى.
منتشر فسادهم ثم تعاليهم على الناس،
مهطعين لسادتهم الغرقى في الأرجاس.
إلى الله نشكو من إمرة الغافلين،
الداع منهم يُنَفِّرّ حتى المؤمنين.
يقولُ سُخْفاً و ينصرُه بسلاح المتفرعنين،
الكافرون أقرب إليهم من نفس المسلمين.
هذا شؤم و بلاء حلّ على الرؤوس،
يوم يظهر وليّنا سيقطعه بالفؤوس.
عُسرُ ما به يُسر سينال كل مَن فَجَرْ،
و اقرأ اقتربت الساعة و انشقّ القَمَرْ.
...
جَمَعْتُ الأكوان في نقطة،
و رأيت الحق من حولها.
فغابت و عادت لغيبها،
فلم أر غير الذات بسوادها.
وحدة لا تنخرم و تتقيّد،
يا لعزّتها و سعتها و جلالها.

انطوى فيها كل ممكن منعدم،
و لَمشّهَدها غرقت العين بِحِيرَتِها.
الحق قائم وجوده أحدي،
الأشياء بنوره يقع ثبوتها.
ذلك ربّنا جلّ جماله،
عنده فقط تجد الروح روحها.
...
قال: لماذا لا تكتب الأشعار الموزونة حتى يتمّ جمال المعنى بجمال المبنى؟
أقول: إني لا أكتب ذلك للعجز لا بالإرادة. و لعجزي حكمة و فيه سعة و قدرة. إني أفضّل الآن أن أكتب كلاما فوق السجع و تحت الشعر، و فيه بركة من لدن الغيب الذي يُخطِر لي هذه الخواطر، و سمّيتها التساطير، فإنها التفاصيل التي بها يُقاس شعور الروح و وجدان العقل. ما أكثر الشعر في ميراثنا، فلا أريد أن أقيّد عقلي و مشاهدي بالتكلّف لشئ لا أحسنه الآن. فحسبنا أن نفهم و نتغنّى بالذهب المصفّى الذي وضعه الشعراء العظام قدس الله أرواحهم لنا، أما أنا فلي وظيفة أخرى. و قد سألت الله تعالى في مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم أن يُعلّمني أمرا لم يُعلّمه أحدا من قبل، ففتح لي بفتح التساطير و ختمها بالقرءآن و أسراره و قد جعل ما يُفتح أثناء ذلك مُتعلّق بنفس بطون الكلمات و الآيات و السور القرءانية التي بها افتتحنا و بها ختمنا بإذن الله ربّنا. بياننا هذا طريق جديد و صنف جديد، و هو بحدّ ذاتها أوزان خاصّة كشبه أوزان القرءآن من حيث أنها لا تتقيّد بالبحور المعروفة مع اشتماله على أسرار المعرفة المقدّسة و بركة الإمدادات الإلهية و الملائكية و النبوية و المولوية.
...
تحرّكتُ بحركة لا مُحرّك لها،
و سعيت بأقدام لا أرض تحتها.
فطرتُ في بحار من الأنوار،
و رأيت شمسا لا عين لها.
فاستنار وجودي بظلام دامس،
و عشقت مفقودة حضرت ذاتها.
سمائي بيت من حجر صلد،
شجرة شخصيتي لا بذرة لها.
فشربتُ كأساً فارغة مليئة،
و بأُذُني سُقيتُ مادّة خمرتها.
لستُ بركاناً فأهلَكَ تهالكي،
بحطامي عمرتُ الجنّة و قصورها.
تعبّدتُ بربوبيتي لأهل البيت،
سجد عقلي للزهرة لما شممتها.
قرأتُ كتابا لا أوراق له،
بخطّ الأسماء بقلم أمرها.
فعرفتُ سرّا لو كشفته لكم،

لفارقت مهجتي حالًا مُهجتها.
و لعرجت روحي ببراق زندقة،
و أخذت صليبا لملاقاة عيساها.
سلام على مسيح الدجل،
النور دجل للنفس بيهوديتها.
التفتُّ يمنة فرأيت زرادشت،
يُوجج جهنّم للأذهان و وهمها.
ثم يسرة فصُعقتُ بجمال رابعة،
مُضلِّةِ الملائكة بسحر فتنتها.
أنا الليل بنوري سافر التائهون،
حادي النياق بحروفي بعثها.
علّمتُ العجم الإفصاح بعجمتها،
بعجمتي أعربت العرب كلماتها.
سرّي مكتوب على جباه الخلائق،
كافر كافر كافر سلطانها.
كفري إيمان و إيماني ضلال،
مِلّتي جهل العالمون حقيقتها.
خرقتُ العقول بمنطق رصين،
على تناقضي بُنيَت الحكمة كلّها.
أنا العشق الذي أحاط باللاشئ،
نعمتي أخفت بظهورها نقمتها.
تزعم أنك حكيم فهيا تعال،
حُلّ رموز تساطيري و أمثالها.
...
قالوا ما بال شعرك لا يتّزِنْ،
فشكوتُ لربّي مُحترقاً بالحُزن.
فأجابني بلسان زكريّا خفيةً،
الفصاحة شرط في هذا الزمن.
لا يعقل القوم بنثرٍ مُتيَسَّرٍ،
فكيف إذا تكلّفْتَ قيود الوزن.
لك أسوة بيس و ن و ق،
كلمات حكيمة و ذوات شَجَنْ.
ما الإمامة بوافر و كامل،
بل بوفرة حُسين و كمال حَسَن.
اسمع لي لا تتصنّع لفظةً،
تأتيك أسرار من بحار المِئَن.

الروح حرّ كقيل أحمدٍ،
اعرض عن كل غاوٍ انسجَن.
لكل مقال رجال فالزَمْ،
حدَّكَ لا تصيبنّك منّا الفتن.
خذ ما آتيتُك بِشُكرٍ لا،
تكفُرَنَّه فتتواتر عليك مِحَنْ.
إذ ما كَفَرَنا عبد إلا و،
قَلَبْنا بعد لُطفٍ ظَهْرَ المِجَنْ.
أما الشاكر فإنه مظهر،
لفيوضات علوم جنّة عَدَنْ.
هذه فائدة ذا المنطق،
غداً بالحقائق يكون الوَزْن.

قلت لأحدهم: اسأل الله أن يبعث لكل تسطيرة مَن يحوّلها إلى قصيدة منيرة. فنجمع بين الخيرين خير الاستلهام الحرّ و خير قوّة الشعر.
فحوّل أوّل بضعة أبيات منها إلى شعر موزون بإذني، إذ أردت أن أريه أنه سيعجز عن الإحاطة بمعاني تساطيري و إشاراتي بالوزن. فكتب التالي و بعثه إليّ:
قالوا لنظمك في السماع مُبعثر . فبثثت أمري حرقة لسميعِ
فأجابني الحاني بلطفٍ خفية . ان الفصاحة شرط كل بديع
لا يعقل الناس الجميل بنثره . نثر الخفيف و لا بقيد سجيع
أوما قرأت الذكر يتلى خفةً . كالنون و الياسين في التقطيع
أوزانها للقلب باتت بلسم . و كذا المعاني حكمة لمطيع
لا ليس يكمل في الأنام مبشرّ . بل من وجوه كامل و موفّر
أقول: تعالوا لنقارن بعض مقارنة.

١- قلتُ {قالوا ما بال شعرك لا يتّزن-فشكوت لربّي مُحترقاً} يختلف إلى حدّ كبير جدّا عن قوله {قالوا لنظمك في السماع مبعثر-فبثثت أمري حرقة لسميع} من وجوه:

الأوّل هو أن استعمالي للفظة {شعرك} أدقّ من {نظمك}، لأن النظم و إن كان يقال على الشعر لكن يحتمل غيره، أما الشعر فالمراد به الكلام الموزون المقفّى تحديداً، و في اصطلاحي في كتاباتي أستعمل الشعر لهذا الغرض بوضوح و أميّزه عن السجع و النثر كما بيّنته في مقالاتي و كلماتي.

الثاني و هو أهمّ أن {ما بال شعرك لا يتّزن} فيه فصل للشعر عن الشاعر، و كأن الناقد زي مدلول {قالوا} هم أناس من أصحابي و ممن ينقد بلطف شديد و يتساءل أكثر مما ينقد. و فيه هذا فائدتان. الفائدة الأولى من حيث فصل الشعر عن الشاعر و هي للدلالة على أن للشعر مصادر متعالية عن شخصية الشاعر الحقيقي كما بيّناه في الكلام على زائية المتنبّي. الفائدة الأخرى هي لطف الناقد.

بينما قوله {لنظمك في السماع مُبعثر} فيه اختلافات جوهرية؛ منها شدّة اللهجة و كأنه هجاء، فصار الناقدون كأنهم يهجون لا يستاءلون، و ذلك من حيث لام التأكيد في {لنظمك} و من حيث لفظة {مبعثر} و استعمال نفي الحسن مثل {لا يتّزن} ألطف من استعمال إثبات السئ مثل {مبعثر}. وَ منها لفظة {مبعثر} فإنها ليست مثل {لا يتّزن} و لا تقاربها، إذ البعثرة من الفوضى غير المحددة، فقد تشمل القوافي كما تشمل الأوزان كما تشمل المعاني أيضاً و كأن القصيدة مبعثرة المعنى و المبنى، و إن كان قوله {في السماع} فيه إشارة على الاقتصار على جانب المباني، لكنه لا يحدد أي حيثية أهي القوافي فقط أم الأوزان أيضاً أم كلاهما، بينما قولي {لا يتّزن} حاصر للقضية في جانب المبنى من حيث الوزن، فيُخرج المعنى و يُخرج القافية و كذلك هي التساطير.

الثالث قولي {فشكوت لربّي مُحترقاً بالحزن} حوّله صاحبي إلى {فبثثت أمري حرقة لسميع}. و من الاختلافات المهمة؛ نصّي على {لربّي} أوسع من اسم السميع الذي ذكره صاحبي. فإن الربوبية فيها معنى التربية و فيها معنى شامل و أوسع من اسم السميع تحديداً. ثم نصّي على شكواي لربّي أوضح من مدلول {فبثثت أمري..لسميع} إذ قد يكون المقصود سميعاً غير الله تعالى كأن تكون شكوى لشاعر أو عالِم من العلماء أو الملائكة أو ما أشبه، خصوصا أنه قال {لسميع} و ليس للسميع. وَ منها أن ذكري للحزن لم يذكره صاحبي، و هو يبيّن موضوع الحرقة و صورتها ما هو، فقد تكون حرقة حسد أو حرقة عجز أو غير ذلك، فصاحبي ترك الأمر مطلقا بينما في تسطيري خصصته.

٢- قلت {فأجابني بلسان زكريّا خفية-الفصاحة شرط في هذا الزمن}. فحوّله صاحبي إلى {فأجابني الحاني بلطفٍ خفية-ان الفصاحة شرط كل بديع}. و هنا اختلافات مهمة؛ منها إشارتي ل {لسان زكريا} فإن في ذلك معاني منها إشارة لكون الجواب جاءني بغير كلام ظاهر كما كان لسان زكريّا في القرءآن حين جعل له ربّه آية هي عدم تكليم الناس إلا رمزا و وحيا، و منها إشارة إلى قضية عقم زكريا أي عجزه عن التوليد كما أني شعرت بالحزن لعدم وجداني لقدرة توليد الشعر المتّزن حسب البحور المعروفة و في ذلك تناسب بين الظاهر و الباطن. و لذلك قلت بعد ذكري للسان زكريا {خفية} حتى لا يتوهم القارئ بأن المقصود بلسان زكريا هو الخفية و لعله يأخذ ذلك من قوله تعالى "إذ نادى ربّه نداء خفيا"، فمقصودي هو أن الله تعالى أجابني خفية لا أنّي شكوت لربّي خفية، و أخفيت معنى الوحي و الرمز من باب التقية العرفانية و ستر المقامات بعبارة {بلسان زكريّا} و تركت كلمة {خفية} بعدها كآية و دلالة لمن هم أهل لمكاشفتهم بالمعاني و المقامات حتى يستدلّوا بها على مقصودي. وَ منها و هي من أهمّ الفروق أن قولي {الفصاحة شرط في هذا الزمن} يختلف جوهريا عن {إن الفصاحة شرط كل بديع}. فمن وجه قولي يدلّ على أن الإفصاح عن المقاصد بوضوح شرط في هذا الزمن لا في كل زمن، ففي الأزمان التي تكون العقول فيها قوّية و قابلة و مستنيرة عموما يكون الغموض و الإخفاء أحبّ للعقول إذ ترغب في الغوص على المعاني لنيلها، بينما في هذا الزمان الحداثي انعكس الأمر و صارت الصورة أحبّ إلى الناس من الكلمة، و الوجبات السريعة انعكست في الأفكار السخيفة التي يمكن هضمها بسرعة، ففي مثل هذا الزمان و انتشار هذا الوباء الفكري يكون الإفصاح شرط في التعليم و الدعوة. كل ذلك غائب في قول صاحبي {إن الفصاحة شرط كل بديع} فالكلام ليس عن البديع بل عن ظروف الزمان و الإنسان الحاضرة. و من وجه آخر قول صاحبي {إن الفصاحة شرط كل بديع} لا تصحّ كلّيته، إذ من البديع ما يضاد الفصاحة أي الإفصاح و الإظهار العلني للمقاصد، كما في أشعار الصوفية السرّية التي لها

ألفاظ بديعة مع شدّة تعقيدها و خفاء مقاصدها و عدم إفصاحها عن مراميها، بالرغم من حسنها و جمالها و إبداع صاحبها و كونها بدعة بديعة في حد ذاتها. فصاحبي لم يذكر إشارتي إلى حالة الناس في هذا الزمان لا من قريب و لا من بعيد، بينما ذلك أساس عظيم في الإجابة الربانية التي ذكرتُها في التسطيرة.

٣- قولي {لا يعقل الناس بنثر متيسّر-فكيف إذا تكلّفت قيود الوزن} تقريبا غاب معناه عن صاحبي فلم يعكسه أو لم يعكس إلا بعضه و هذا البعض غير واضح. فالمعنى عندي هو أن الناس في هذا الزمان لا يعقلون المعاني الإلهية و المقاصد النبوية و العرفائية بالرغم من ذكر هذه المعاني بنثر سهل و متيسّر لمن يعرف العربية و شئ من مصطلحات أهل الله تعالى، فما بالك إذا وضعت تلك المعاني مع تكلّف صبّها في قوالب الوزن المعروفة التي تضطر الشاعر الفحل أيضاً أحيانا إلى تقديم و تأخير و تغيير و تبديل و غير ذلك من أمور تُصعّب فهم الكلام. هذا ما قصدته. أما ما قاله صاحبي {لا يعقل الناس الجميل بنثره-نثر الخفيف و لا بقيد سجيع} فيختلف قليلًا إذ نحن لا ننفي أن يعقل الناس النثر مطلقا و إنما المقصود من سياق كلامنا هو عدم عقلهم للمعاني الباطنية- و قد جعلنا هذا القيد مستبطنا في التسطيرة ككل فكما أنه باطن جعلناه مستبطناً. و وضوح الحجّة في كلامنا أظهر من وضوحه في بيت صاحبي. فضلًا عن الإشارة إلى أن {قيود الوزن} هي أحد أهم أسباب تعسّر فهم كلام الشعراء عادة، و هذا مبحث مهم إلا أن إشارته قد ضاعت أثناء تحويل السطر إلى شعر.

٤- قولي {لك أسورة بيس و ن و ق،-كلمات حكيمة و ذوات شَجَنْ} لم ينقل صاحبي معنى التأسي بالقرءآن و طريقته، و هو جوهر مهم جدّا و يكاد يكون عماد التسطيرة كلّها، إذ المقصود الأعظم هو أن القرءان ذاته لم يتبع طريقة الشعر في الكلام، بل كانت له أوزانه و سطوره الخاصّة به التي هي بين الشعر و النثر و ليست سجعا خالصا أيضاً فللقرءان طريقته الخاصّة التي لا تأتي على نسق وزن واحد كالشعر. ثم إن إشارتي لسورة يس و ن و ق فيه معان كثيرة و لم تُذكَر اعتباطاً و غاب ذكر سورة ق عند صاحبي. و من وجه آخر احتاج إلى أربعة أشطر لينقل ما ذكرناه في شطرين.

٥- قولي {ما الإمامة بوافر و كامل-بل بوفرة حسين و كمال حسن} تقريباً لا أثر له في ما حوّله إليه صاحبي. فلا ذكر للإمامة، و لا ذكر لحسن و حسين، و لا ذكر لحقيقة كون إمامة الأئمة هي من ظهور صفات الأئمة الكبار الذين هم وسائل الفيض في ذواتهم، و غابت الإشارة إلى قول النبي صلى الله عليه و سلم عن إمامة الحسن و الحسين بأنهما "إمامان قاما أو قعدا" و تأويلي له إشارة بأن الحسن و الحسين من الأئمة بالرغم من عدم وجود ديوان شعر لهما. و غير ذلك من إشارات. فضلا عن احتياج صاحبي إلى تحويل القافية حين وصل إلى هذا البيت.

الخلاصة:

أولا مع جلالة الشعر و حبّي له، إلا أن أسلوب التعبير الجديد الذي سمّيته التساطير أنسب و أولى و هو طريقة ألهمني إياها ربّي عزّ و جل و هي كمثل التضاريس الطبيعية تختلف أوزانها و أشكالها لكنها تؤدي وظيفة معرفية و جمالية عفوية في آن واحد.

ثانياً لا يستطيع شاعر فيما نعلم أن ينقل كلامنا بمعانيه و إشاراته مع حفظ الأوزان و القوالب المعروفة و مع حفظ طول القصيدة. و ما ذكرناه مجرّد مثال على عجالة.
ثالثاً بالنسبة لهذا الزمان الذي اشتهر فيه من يسمّون شعراء إلا أنهم لا يكتبون الشعر بالطريقة العريقة الشريفة، فإن ما نكتبه نحن من تساطير تقع فوق السجع و تحت الشعر هي طريقة ينبغي أن تكون مقبولة عند أنصار المتقدمين و الحداثيين على السواء، إذ أنصار المتقدمين لن يعترضوا لأني لا أسمّيه شعراً بل أميّز بينه و بين الشعر إذ هو غير موزون عموماً بالأوزان المعهودة، و أما الحداثيين فحسبهم صورة كلامنا و هم لا يعترضون على ما هو أبعد عن الوزن و الترتيب منه. فطريقتنا جامعة من هذا الوجه.
رابعاً بالنسبة للمعاني التي نريد إبرازها و بتلقائية و عفوية قدر الإمكان، و حفظ الأنفاس الغيبية التي أوردت علينا تلك المعاني، طريقة التساطير أنسب لها و أسرع و أيسر.

الحاصل: لست ضدّ الشعر و لا أي فنّ من فنون العربية العتيقة و أصولها. بل أنا متعصّب لها. لكن لا يوجد عندنا ما يمنع من إحداث صورة جديدة أو هجينة مع عدم سرقة أسماء لا يستحقّها السارق. فلست شاعراً و لكنّي مُسَطِّراً بسرّ "ن و القلم و ما يسطرون. ما أنت بنعمت ربّك بمجنون".
...
قال الملحد: لماذا لا تكفر بالدين لكي تتخلّص من الخوف من الإله و العيش مع فكرة السيئة و الذنب و الخطيئة وَ يوضع عنك ثقل التكاليف الشرعية؟
نقول: هنا ثلاثة أمور. الخوف وَ الخطيئة وَ التكليف.
أما الخوف، فإن كنّا سنكفر بسبب الخوف من الإله فيجب أن نؤمن بسبب الأمان و الاطمئنان الذي يجلبه لنا الإيمان بالإله. و من المعلوم حتى عند الملحد أن الإيمان بالإله يجلب هذا الأمان و الاطمئنان للنفس في هذا الكون الموحش و المظلم، بل إن هذه الحجّة هي أكبر و أقوى حججهم في تفسير إيمان الناس بالإله. فإذن هو مقرّ بما ينقض حجّته. حجّته تنقض حجّته. ذلك أمر مهين. هذا أوّلا. و ثانياً الخوف من الإله في الدين له وجهان؛ فوجه يكون فيه الخوف مواز للرجاء و الحبّ و الأمان بالتالي يوجد توازن بين الخوف و الرجاء فيجب أن لا تميل كفّة على كفّة هكذا يقول علماء هذا الشأن. و وجه آخر يكون فيه الخوف عرضا و سببه إنما هو الخطايا و الذنوب التي يأتيها العبد و يمكن أن يتوب منها و يُكفّر عنها، فالخوف ليس أصيلًا إذن بالتالي ليس هو الأساس فلا يكون مستمرّا بالضرورة مع الإنسان المتدين. ثالثاً و هو الأهم أن الخوف من الإله ليس كما يتخيّل هؤلاء الجهّال، الخوف على نوعين، خوف بسبب القهارية و خوف بسبب المحبّة. فمرّة نحن نخاف من شخص لأننا نخاف على أنفسنا من الألم الذي قد يجلبه علينا هذا الشخص بانتقامه الشخصي النابع من شعوره بالنقص بسبب أذيتنا له، كمثل الخوف من طاغية سياسي. لكن مرّة أخرى نحن نخاف من إيذاء من نحبّه و نعشقه لا لأنه سيُحدث فينا عقوبات بالمعنى الشائع للعقوبة، بل لأننا نخاف أن يتركنا و ينفصل منّا و يحتجب عنّا. الخوف النابع من الكره غير الخوف النابع من الحبّ. الخوف من الإله-إن كان له قيمة- إنما هو الخوف من النوع الثاني أي الخوف من الحبّ و على الحبيب، فهو خوف لطيف لا خوف عنيف. نعم نحن نعلم أن الكثير من الناس يخلطون بين الاثنين و يحملون على ربّهم خوف العنف، لكن هذا خطأ عندهم يجب تصحيح مفهوم الإله و كل الملل حسب اطّلاعنا تفتح باب التصحيح المذكور. رابعاً الخوف حتى من العقوبة ليس دائما شيئا سيئا، بل لا يقوم فرد في حياته و لا مجتمع و لا شئ إلا بالخوف، و حتى هذا الملحد يخاف من

الشرطة و من الحكومة و من عقوبة القانون و من الغياب عن دوامه في الشركة الكهنوتية و ما أشبه. الخوف ضرورة في حياة الإنسان كما أن الحبّ و الرجاء ضرورة. و الشئ الوحيد الذي لا يخاف هو الجدار...حسب الظاهر.
أما الخطيئة، هنا توجد على أحد الاعتبارات أربعة أنواع من الخطايا. خطيئة تجاه الإله، خطيئة تجاه الأكوان، خطيئة تجاه الذات، خطيئة تجاه الناس. فمِن أي الخطايا يريد الملحد أن نتحرر؟ لا نعلم عاقلا يُشكك بجدّية في وجوب وجود آخر ثلاثة مفاهيم من الخطايا، أي تجاه الأكوان-مثل المحافظة على البيئة و المنزل و المحيط و الحيوانات و النباتات و ما أشبه، و تجاه الذات-مثل الاهتمام بصحّتك و فكرك و شؤونك الخاصّة، و تجاه الناس-مثل اتباع القوانين و الأنظمة و الحسن من العادات و السلوكيات. هذه الثلاثة معقولة و يقبلها أي منصف. الفرق بين الدين و غيره من مذاهب مادية في هذا الشأن هو أن الدين بالإضافة لتقريره للمفاهيم الثلاثة إلا أنّه يجعلها لا مجرّد خطيئة تجاه الأكوان أو الذات أو الناس بل يضيف إليها أنها خطيئة تجاه الإله على اعتبارات مختلفة من قبيل التجلّي الإلهي أو المصنوعية أو الأوامر مثلا. ثم تأتي الخطيئة تجاه الإله، هنا بالضبط ما يريد الملحد أن يتخلّص منه، لا الخطيئة عموما. لكنه يريد أن ينقض هذا المفهوم الخاصّ للخطيئة بالدعوة إلى نقض مفهوم الخطيئة كلّياً، فهو كمن يريد أن يذمّ طعاماً عربياً بأن يذمّ الطعام من أصله. هذه مغالطة و سخافة شائعة جدّا عند القوم، أي نقض مصداق خاص بنقض المبدأ العام. و لا يلتفتون إلى أن نقض المبدأ العام يوجب نقض جميع مصاديقه و مظاهره. فإن كانت فكرة الخطيئة من حيث هي سيئة و مرفوضة و باطلة، فهذا يعني وجوب نقض كل مظاهرها الكونية و الذاتية و الاجتماعية، و هذا لا يقوم به أحد جدّية كما قلنا، لأن الملحد لو سرقنا أمواله و فقأنا عينه و نحرنا أولاده سيعرف أن هذه "خطايا" بالضرورة الوجدانية مهما كابر لفظياً حفاظا على مقالاته الفكرية الذهنية. هذا أوّلًا. ثانياً محاولة جذب النفس إلى الكفر عن طريق إغوائها بالتحرر من الخطيئة تجاه الإله هو عمل خبيث غير شريف فكرياً. لأن الإله إن كان موجوداً-نتكّلم بلسان الشياع الآن- و دينه حقّ فإن الخوف منه على قاعدة الديانات أمر واجب، و إن لم يثبت وجوده أو ثبت وجوده لكن لم يثبت ما تقوله الأديان عنه فيما يتعلّق بالخطيئة و العقوبة، فإنه لا حاجة للكلام عن التحرر من الخطيئة بطريقة الملحد هنا أصلًا. بسقوط القاعدة يسقط البناء.
أما التكليف، و هو من أكثر ما يُساء فهمه عموماً، فأوّلًا إن كنّا سنرفض التكليف لما فيه من مشقّة، فيجب أن نقبله لما فيه من لذّة نفسانية. هذه اللذة من وجوه؛ أهمها أن النفس تلتذ حين تُنجز عملًا ما، فمثلا حين يُنجز لاعب الكرة مهمته و يكسب المباراة فإنه يفرح، و حين تنجب الأم ولدها سليما تفرح، و حين ينجح الملحد في إقناع عشرة أشخاص بالإلحاد يفرح وَ إن أقنع ألف شخص سيفرح أكثر وَ إن كان الألف من العلماء بدينهم و المشاهر فإنه سيفرح أكثر و أكثر، و هكذا إنجاز العمل من حيث هو إنجاز فيه فرح، فإن كان العمل عظيما ازداد الفرح به بنسبة طردية. بناء على ذلك، إنجاز التكاليف الشرعية من حيث هو إنجاز فيه لذّة و فرح للنفس، فإذا علمت النفس أو اعتقدت-حتى لو كان باطلا في الخارج- بأن هذه الأعمال عظيمة و مهمة جدّا و سيترتّب عليها رضا الإله و الفوز بالنعيم الأبدي و ما أشبه فإن النفس ستلتذ بها أكثر و أكثر بما لا يتناهى نظرياً. و لا يوجد عمل في الدنيا يمكن أن يوازي الأعمال الدينية في هذا المضمار بل و لا يقترب منه. أنا أجلس في زاوية من زوايا بيتي، و أذكر الله، و أعْلم و أعتقد بأن ذكري لله يحفظ الكون و يمدّ الكائنات بالروح بناء على أن "آدم روح العالَم"، ستقول لي بأن هذا هراء و باطل، أقول و إنْ ! لا يكلّفني شيئا، و لا ينقص منّي شيئا، و لكنه يجلب لي لذّة و

غروراً إن شئت لا يمكن أن أحصل على عُشر معشاره لو نلت ملك تسعين مملكة و صرت مديرا لسبعين شركة، أنا خليفة الله و ممد العالَم بالروح القدسية، هل عندك منصب أشرف من هذا لتغريني به. فإن قلت لكن مناصب الدنيا حقيقة و منصبك هذا خرافة، فأقول أما كون مناصب الدنيا حقيقة فأتركه لك لتجيب عنه حين يضعوك في قبرك، و أما الجواب الأدقّ إن كنت من أهل العلم بالنفس فهو أن الحقيقة بالنسبة للنفس هو ما في النفس، النفس قد تتوهّم الشئ فتعتقد به و كأنه حقيقة خارجية حتى لو لم يكن كذلك، و هذا معلوم عند المؤمن و الملحد من العلماء بل و الكثير من العوامّ أيضاً، و عليه توهّمك بأن اسم "مدير شركة" هو منصب "حقيقي" و أن "خليفة الله" هو منصب "خرافي" هو عمل من أعمال ذهنك، و في نهاية المطاف كلاهما عمل ذهني-مع التنزّل طبعاً- بالتالي كلاهما "خرافة" و نحن أسبغنا على كل منصب قيمته و اعتباره. يُذكّرني هذا بما قالته زوجة بطل الشطرنج الروسي حين كتبت له رسالة تذمّه لانشغاله ليل نهار بالشطرنج و تسخر منه و تقول له "يا ملك العروش الوهمية"، و بعد أن انتحر الرجل كتب جواباً لهذه الرسالة "أليست كل العروش وهمية"! ثانياً مرّة أخرى، فكرة التكليف من حيث المبدأ أمر شائع في بني الإنسان، سواء تكليف الإنسان لنفسه أو تكليف غيره ممن هو فوقه له كمثل تكليف ربّ العمل للعامل. فلا نرتكب نفس المغالطة في هذا الباب أيضاً. ثالثاً و لعلّه الأهم في الباب أن التكاليف الدينية اختيارية كقاعدة عامّة، فلا يوجد دين عموما يقدر أن يراقب كل شخص و ما الذي يفعله في صغير الأمر و كبيره، و ما مراقبة أهل الدين للناس في أسوأ الأحوال و أندرها إلا كمراقبة أهل القانون و السياسة لشعوبهم، بل أقلّ بكثير من بعض الوجوه. لكن إجمالًا التكليف يقبله الإنسان بنفسه على نفسه، كما أنك تجد الملاحدة في بلادنا لا يقومون بالأمور الدينية إن شاؤوا بل يقومون بعكسها و إن كان بالسرّ لكنهم يقومون بما يريدون أن يقوموا به و ينقضون ما يريدون نقضه في أنفسهم بلا رقيب و لا حسيب، و هذا في بلاد "التشدد و التطرّف السلفي" فما بالك بغيرها. فالتكليف الديني أيسر من التكليف الدنيوي السياسي و العُمّالي، و أحسن منه و أجمل و أسرع فائدة و أرخص عموماً، فكما أن الملحد لا يعترض على التكليف الدنيوي مع كل مساوئه فليحفظ لسانه احتراما لعقله...إن كان له عقل.

هذا جواب عن التكليف، و جواب آخر نذكره مع تفصيله لأن قضية التكليف هذه من أهمّ القضايا و لعلّ معظم مَن ينصرف عن الدين يدفعه لذلك جانب التكليف.

و الجواب الذي سنذكره هو من كتاب "شرح الأسماء الحسنى" للشيخ الأكبري صدر الدين القونوي رحمه الله، في باب اسم "المجيد" جلّ جماله، و هذه عبارة القونوي بعد ذكره قول الله تعالى في الحديث القدسي "مجّدني عبدي" حين يذكر العبد "مالك يوم الدين" فيشرح القونوي معنى "يوم الدين" فيقول عنه {هو مواطن الجزاء دنيا و آخرة، بخلاف ما يتوهّم المحجوب. فإن الآفات و العاهات و المصائب كلّها جزاء "بما كسبت أيدي الناس". و فلا فرق بينهما إلا أن الجزاء في موطن الدنيا ربّما يؤجر أو يُكَفَّر عنه، و ربّما لا يؤجر صاحبه و لا يكفر عنه. و لما ثبت أن أعمال العباد تعود إليهم، فلا بد أن يرجع إليهم المجد الذي مجّدوا الحقّ به، فالعبد مُقدَّس بتقديسه، و مُنَزَّهٌ بتنزيهه، و مُمَجَّد بتمجيده، و من هذا المقام قال من قال "سبحاني" و "أنا الحق"} انتهى. نقول: هذه الفقرة الشريفة فيها مطالب متعددة و كلّها منيفة. لكن نقتصر على جملة واحدة منها و هي {أعمال العباد تعود إليهم} هذه القاعدة الحقيقية البيّنة هي الأساس الذي عليه رتّب ما رتّب مِن نتائج خطيرة يغفل عنها أكثر أهل الشريعة فضلا عن غيرهم. أعمال العباد التي هي التكاليف الشرعية و غيرها، و كل العبادات المتوجّه إلى الله تعالى، كل ذلك سيرجع إلى العبد نفسه. فالتكليف ليس عطاء من العبد للربّ بقدر ما هو عطاء من العبد لنفسه بواسطة توجهه للرب،

و لذلك قال القرءآن "من جاهد فإنما يجاهد لنفسه" و قال "من شكر فإنما يشكر لنفسه" فهو يشكر الله و الله يشكره فإذن هو يشكر لنفسه بالله. كذلك من قدّس فإنما يقدّس لنفسه، و من مجّد ربّه فإنما يمجّد لربّه، و على هذا القياس. كل أعمالك سترجع إليك، كما قال النبي صلى الله عليه و سلم في القدسي "إنما هي أعمالكم تُرَدّ إليكم". فبناء على قاعدة الأنانية الإنسانية، التكاليف الشرعية لا تتعارض مع ما تريده النفس بل هو من صلب مصلحة النفس بل أعظم مصالحها. {فلابد أن يرجع إليهم المجد الذي مجّدوا الحق به}. و لا يوجد تكليف في الدنيا كلّها يمكن أن يوصل العبد إلى مقام يقول فيه {أنا الحقّ} بالحق...أو بالباطل!

...

يا صاحب القبّة الخضراء يا سَنَدي،
يا سرّ الأنبياء يا مددي.
فضلك واسع بسعة الله،
وسّع عليّ بجودك رزقي.
ضاقت الدنيا و بإسمك قد رَحُبَت،
تأمل محاسنك هو لذّتي.
الملكُ ملّكك ممالكا وراء جبل ق،
فافتح لي أبوابها كفتحك لِعلي.
طاب وقتنا مع خبث الزمان،
بطه و يس و نور النبي.
أتيتك مُلبّياً للحجّ الأكبر أي أنت،
عُبَيدُك بائس فقير فأطعمني.
إذا رضيتَ فالأكوان راضية،
و الرحمن شملني بآية "و رحمتي".

...

بلوى بلوى مُساكنة الكفّار،
انفرد وحدك و اعتزل النار.
مَن الكافر لا ليس المظنون،
بل جاحد ولاية أئمة الأنوار.
يرى ذهنه حاكماً عليهم،
و هو غارق بالخراء و النار.
لا يرى أن بركة حضورهم،
حَلَّتْ الماء و أنبتت الأشجار.
قريباً يرفعهم المولى عنكم،
فتشهدوا خراب كُلّ الديار.
لا ينفع حينها ندم و لطم،
قد فتح بيننا الواحد القهار.

...

إنّا تجلّينا لك بكلامنا الأَنوَرْ،
فوصلناك بنا بعد كونك الأَبتر.
أعطيناك لساناً لا نظير لهُ،
ينطق بحكمتنا و أسرار هو.
الكوثر أنتَ فاشربْ بقَلبِك،
يعطش غيرك و كذا شانئك.
فَصَلِّ جنازةً على مظلم الذهن،
لا تُخرِجْنّ عليه لا آهة و لا إنَّ.
لِرَبِّك اعرُج بتعقّلك و أَبْحِرْ ،
ما تخلَّفَ عنك عالِج و انحرْ.
و انحر بهائما ترعى بنفسك،
استمسك بكل وسيلة لربّك.
إنَّ مَن يُعرِض عنه لغيره يَذِلّ،
أحسن أعمالك ذكره فَصَلِّ.
شانئك و لو بأدنى من الذَّرّ،
محروم من نعيم هذا الكوثر.
هو الَملك و نحن عباده الأملاك،
أَذِن لنا بذي الحِكَم لذا أعطيناك.
الأبتر كُل مَن يُعرِض عن ذكرنا ،
و نحن تجلّيات قوله تعالى "إنّا".

تنبيه: هذه كلمات كوثرية شربناها بكؤوس محمدية. لو قرأت أوّل كلمة من أوّل سطر، ثم أوّل كلمة من ثالث سطر، و هكذا نزولًا في الأعداد الفردية، ستجد أنك تقرأ سورة الكوثر. و لو قرأت آخر كلمة من آخر سطر، ثم آخر كلمة من السطر الذي فوق فوقه، و هكذا صعودا-على عكس طريقة القراءة النازلة- ستجد أنك تقرأ سورة الكوثر. فهي تسطيرة تقرأ فيها الكوثر نزولا و صعودا، إما بفواتح السطر و الأعداد الفردية ١-٣-٥-٧-٩ و هكذا. و إما بخواتم السطر و الأعداد الزوجية ٢٠-١٨-١٦-١٤-١٢ و هكذا. و الحمد للرحمن معلّم الإنسان القرءآن و البيان.

...

(طريقة السحابة في صناعة التسطيرة)

الخطوات:

١- تحدد سورة قرءانية.

٢- تأخذ الكلمات بالتسلسل. تأخذ الكلمة و هي لك كالسحابة التي ستستمطر منها معانيها.

٣- مثلا (اِقْتَرَبَت). بالتشكيل. ستة أحرف. فيجب أن تصنع منها ستّة أسطر. كل سطر قافيته مثل قافية الحرف. مثلا: أوّل سطر ألف مكسورة. ثاني سطر قاف ساكنة. ثالث سطر تاء مفتوحة. و هكذا.

٤- إن حضرتك القوافي بها و نعمت. إن لم تحضرك فتستطيع أن تطلبها من دواوين الشعر، خذ الديوان و افتح على قصائد الحرف ثم اصطفي منها ما يناسبك.

...
لا يصلح بلا مَيْن،
لا الكون بإلهين،
و لا مُلك بإمامَين،
و لا بيت برَجُلَيْن،
و لا قلب بخاطِرَين.
التوحيد شرط السعادة.

النور مركزي،
السرور معنوي،
الخير ربّانيّ،
التاج عرفاني،
التسليم إسلامي،
التوحيد سبب السيادة.
...
(أقلّ ما يجب على المسلم)
من باب المعاملات لا يوجد واجبات.
من باب العبادات يوجد العلم بالشهادتين و نطقهما. و توجد الصلاة. و جوهر الصلاة هو تلاوة الفاتحة و لو بالقلب. و المؤمن لا ينجس. و بناء على ذلك: إن كان و لابد من ترك الفرائض و السنن، فأقلّ ما يجب على الإنسان ليبقى حبلا بينه و بين الله تعالى هو أن يقرأ الفاتحة مرّة في اليوم.
...
يقول البعض(الملاحدة و أشباههم): لا يهمّ دين الشخص، المهم شخصيته و أن نحترمه لشخصيته لا لدينه.
نقول: إن كان الشخص ليس من أهل الدين، فلا داعي لهذه المقالة. و إن كان الشخص من أهل الدين، فإن أكبر احتقار لشخصية المتديّن هي أن لا تعتبر دينه من جوهر و مركز شخصيته. دين الشخص لبّ شخصيته، و أعظم ما عنده و فيه، و مكوّن هويته الرئيسي، و إن لم تكن هذه هي منزلة الدين عنده و فيه فإنه لا دين له على التحقيق. مقالة "المهم شخصيته لا دينه" تشبه بل هي أسوأ بكثير من ذهابك إلى ملك مملكة و قولك عنه "ليس المهم أنه ملك المهم شخصيّته" ثم تتعامل معه ليس بناء على منصبه الملكي بل كأنه شخص عامّي و عادي، إن هذا أكبر احتقار لهذا الشخص بالنسبة لهذا الشخص. فإن كنت تهتم بشخص الملك يجب أن تعامله كملك، و لذلك ترى رؤساء الدول حين يخاطبون ملكا من الملوك يخاطبونه بلقبه الملكي حتى و إن لم يكونوا من الخاضعين لأمره. هذا إن كان يهمّك الشخص. و أما إن كان لا يهمّك إلا نفسك، فليس لنا كلام معك و ما هو الاحترام الملائم للأشخاص.
فإذن ليكفّ الناس عن التكرار كالببغاوات لمقالات لا يعقلون أصلها و لا فصلها.
...
يظنّ الكثير من الملاحدة و العلمانيين بل و السلفيين و المتدينيين أن فصل الدين عن الدولة هو مقالة إلحادية بالضرورة.

الجواب: كلّا. لا توجد علاقة بين الأمرين بالضرورة. فقد يوجد صاحب ديانة فيرى فصل الدين عن الدولة، و قد يوجد بعض كبار الملاحدة فيرى وصل الدين بالدولة. و إذا سألت صاحب الديانة سيقول لك أن رأيه خير للدين. و إذا سألت الملاحدة سيقولون بأن رأيهم خير للإلحاد!
مثال متدين: قد يرى المسيحي و هو الأصل بناء على مقالة يسوع "مملكتي ليست من هذا العالَم" أن الكنيسة كيان و الدولة كيان آخر و لا صلة مباشرة بينهما. و هذا هو الرأي السائد في المسيحية على ممر القرون. و هو مجرّد واحد من الثنائيات الكثيرة في المسيحية مثل:الروح/الجسد، الملكوت/الطبيعة، الإله/الشيطان، الأبدي/الزمني. و كلّ هذه الثنائيات مجالي متعددة لنفس الفكرة الأصلية للتثنية الوجودية الحدّية. فالكنيسة هي مظهر الروح و الملكوت و الإله و الأبدي و النوراني، و الدولة كأصل هي مظهر الجسد و الطبيعة و الشيطان و الزمني و الظلماني. و إن كان للكنيسة من تأثير في الدولة فهو بطريقة غير مباشرة، و ذلك بأن تُربّي المؤمنين الذين بدورهم حين يتولّون أمور الدولة سيعدلون و يحسنون. و في الأوقات التي كان لبابا الكاثوليك سلطة فوق الملوك في أوروبا، فإن ذلك ما كان هدما للجدار الفاصل بينهما بل كان من باب فوقية الملكوت على الطبيعة، فضلا عن أن هذا كان رأي الكاثوليك و المسيحية ليست مختزلة فقط في الكاثوليكية فالأقباط في مصر مثلا لم يروا يوماً بأن دينهم ناقص إن لم تكن عندهم دولة قبطية رأسها بابا الأقباط. فعلى التحقيق، العلمانية ترجع للمسيحية. فالعلمانية فكرة "دينية" !
مثال على ملحد: في كتابه "كيف نغلب الديانة: بعشر خطوات سهلة"، في الخطوة الخامسة، ص٧٣ الفقرة الثانية، يكتب الملحد المعاصر رايان كراغُن فيقول بعد عقد مقارنة بين التديّن في أمريكا حيث يوجد فصل بين الدين و الدولة إلى حد كبير، و بين التديّن في النرويج و الدنمارك حيث لا يوجد فصل بين الدين و الدولة، و بعد الخلوص إلى نتيجة مفادها أن استلام موظفي الكنيسة لرواتبهم من الدولة بغضّ النظر عن مدى إقبال الناس على كنائسهم يعني أنهم سيكونوا في وعظهم و تعليمهم أشدّ اعتدالا و أبعد من المبالغات لجذب الجمهور كما يفعل الكثير من رجال الكنيسة الأمريكان الذين يضطرون إلى أخذ رواتبهم من المؤمنين بهم، فيكتب رايان الفقرة التالي-الترجمة من الانجليزية لي: (فإذن، إني محتار. طريقة فعّالة جدّا لتقليل الاهتمام بالدين-توجّه قد ظهرت فعّاليته البالغة، حتى و لو لم تكن النتيجة مقصودة- هو أن نهدم الجدار الفاصل بين الدين و الدولة و أن نُقرّب بينهما تقريباً). ثم يذكر ما يتوقّعه من قرّائه الملاحدة من التعجّب بل الغضب بسبب هذا الاستنتاج، لكنّه يردّ بأن الدين في الدنمارك و النرويج بسبب هذا الهدم قد انغلب و أنه أضعف دين في العالَم. فالعلمانية فكرة "لا دينية" !
أحسب أن المقصود قد اتّضح.

...

بلا إله إلا الله،
نخرج من الضالين.
بمحمد رسول الله،
نخرج من الكافرين.
بعليّ ولي الله،
نخرج من المنافقين.
بإقامة الصلاة،
ندخل في المسلمين.

بعمارة الآخرة،
ندخل في المؤمنين.
بدراسة القرءآن،
ندخل في النبيين.
بذكر اسم الله،
نصير من المُحبّين.
بمعرفة هويّته،
نصير من العارفين.
بالفناء في ذاته،
نصبح من العاشقين.
إن هذه هي مراتب الآدميين،
خذ ما آتيتك كن من الشاكرين.
...
كل خير و كل كمال،
إنما يكمن في ذات علي.
يشهد العوام بالتوحيد،
نحن شهدنا بأحدية علي.
يُصلّي البشر للهواء،
أما صلاتنا فلقبلة علي.
يصوم العامة عن الطعام،
و صمنا عن ما سوى علي.
يزكي الناس بعض مالهم،
و ضحّينا بأنفسنا لأجل علي.
تحجّ الخلائق للكعبة،
و نحجّ كل آن لحضرة علي.
ما لنا كتاب و لا حديث،
غير الاستمداد من نور علي.
لكل خيبر و لكل أُحُد،
و لكل معضلة نستنصر بعلي.
علوم الأولين و الآخرين،
أبوابها مفتوحة بروح علي.
إمام مساجد ذواتنا،
سلطان الممالك كلّها علي.
لو أنصتنا لتسبيح الأشياء،
لسمعناها تتغنّى بإسم علي.
لو قيل للشئ قبل كونه،

بدلًا من كُن كلمة علي.
لسارعت للتكوّن لتُشاهِد،
جمال جلال مولانا علي.
خلاصة الأمر إن عقلت،
فُز بالدّارين و قل يا علي.
...

الغوث الغوث يا فردوس الأنبياء،
انظر ما اقترف قومك في كربلاء.
دفنوك و دفنوا معك حسن الولاء،
لأشعّة ذاتك و وسيلة فهم الأنباء.
و استبدلوا الآخرة و عزّ الإسلام،
بجيفة أجرب و الحطام و الهباء.
أكرمتهم ثم أطلقتهم بعد التمكين،
فجازوا مصابيحك بمقابيح الجفاء.
بدلًا من فرش أجسامهم لريحانتك،
و حمله على رؤوسهم ليصل السماء.
صبّوا القطران على زهرة الدين،
و اتّبعوا قَرّاداً مُشركاً زَنّاء.
نعم لولا ثمرة زقْوم السقيفة،
و عدم التمركز حول سيّد الأولياء.
لما جاز في نفوس الناس،
استباحة دم سيّد الشهداء.
إمام بروحه مُذ كان طُفَيْلًا،
معدنا من معادن أشرف سناء.
سقى العالمين جوداً و فضلا،
فمنعه الملاعين و لو قطرة ماء.
بعقله تكتب أقلام العقول،
فهو مداد كالدمّ يا لهذه الدماء.
كان حاضراً قبل خلق آدم،
بنوره تعلّم الخليفة الأسماء.
سيّد من سادة ابنت فاطمة،
تسجد لعظمتهم الشعرى و الجوزاء.
الأُمّة طبيعة كتراب مُعجَمٍ،
هو و آله الحروف و الآباء.
لو لانت لهم الرقاب الغليظة،

لانتصرت و بالدارين لها الهناء.
لكنّها اختارت قتل الحسين،
فهدمت أس قواعد البناء.
فانقبض ما انبسط و عاد الأمر،
لدولة الغيب الذي ما له إطفاء.
حُسين فينا و لو غاب مادّةً،
الشمس للبصير ما بها خفاء.
يُغذّينا بقوت حق لم يُخلَقْ،
كما صدرت بغير أب حوّاء.
يَكِرُّ بالمعاني بل لا تنقطع،
به عرفنا سرّ سرّ الهاء.
بالعقل عرفناه بالنفس وجدناه،
اختلط حُب الحُسين بالأحشاء.
فليبكِ مَن شاء على مصيبتنا،
لا مصيبته فهو مِن السعداء.
دموع العين على الحُسَين،
يُذَهِّبْ النفس كأنه الكيمياء.
احذر أُميّة و الفرقة الغبيّة،
و غرقى في جهالة جهلاء.
يصرفون الناس عن ذكر إمام،
بذكره ينكشف عن القلب الغطاء
مُحبّو الحُسين قلوبهم بيضاء،
الحبّ نسبة كما يعلم الأذكياء.
فاعلم بأن القالين و المعرضين،
أصاب نفوسهم ألف مَن الأدواء.
اهجر ذكر أولي الشؤم عندنا،
لا تذكر الأغلال عند ذكر الإسراء.
وصلنا بالعلم لحدّ العقلاء،
وصلنا بالحسين لحدّ الاستواء.
أعيننا و فوقها لأظفاره فداء،
و الفوز أن يحصل فيه الفناء.
لو يعلم العطشى لسلامة ديننا،
لصلّوا بإسم الحسين الاستسقاء.
ما خاب متوسّل بجاه الولي،
مُجاب لكرامته كل نداء.

ألا فلبّوا حُسيْناً أيها الألبّاء،
الهج بذكره بالصبح و المساء.
فلن ثم لن تجد غدا محمدا،
يشفع لك حين يندم الأشقياء.
إلا إن تمسّكت بآل محمد،
شُهُبُ الملّة الأئمة العظماء.
...
يزعم قوم بأن فكرة اعتبار معظم الصحابة قد أخطؤوا في قضية الخلافة هو أمر خارج عن العقلانية و غاية في الشناعة. لكنّك لو دققت في نفس ما يقولونه هم في قضية الخلافة ستجد أنهم يقررون من حيث لا يشعرون بنفس الفكرة التي سخروا منها. بيان ذلك؛
هم يقولون بأن الخلافة النبوية الصحيحة هي لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، بهذا الترتيب الرباعي و أن الله و رسوله قد أراد ذلك.
لكنهم أيضا يعترفون بأن الأنصار قد عزموا في بادئ الأمر في السقيفة على تنصيب أميرا منهم، حتى حدث ما حدث بعد ذلك.
ثم يعترفون بأن أبا بكر حين أراد تنصيب عمر، عارضه الناس ثم حدث ما حدث بعد ذلك.
ثم يعترفون بأن عمر حين أراد تنصيب خليفة وضع الشورى في ستّة، بالتالي يكون عمر قد قرر أنه من الممكن أن تؤول الخلافة لغير عثمان، و يكون قد قرر بأن المسلمين بأجمعهم كان يجب عليهم أن يرضوا بأحد الخمسة الذي هم غير عثمان لو كان قد وقع الاختيار عليه.
كل ذلك إقرار ضمني و ضروري بأن أكثر الناس كانوا سيضلّون عن تنصيب الأربعة بالترتيب المذكور لولا ما حدث من أمور خارجية فرضت ذلك كما يعلمه أهل الاطلاع. فضلا عن أن رأي و قول أكثر المسلمين لم يكن محلّ اعتبار لا في السقيفة التي كان فيها بعض الأنصار، و لا عند أبي بكر الذي اختيار بنفسه ثم أقنع زمرة ممن حوله، و لا عند عمر الذي اختار من عند نفسه ستّة و جعل الأمر بينهم.
فمن وجه قرروا ما يدلّ على إمكان الخروج على الترتيب الرباعي، و من وجه قرروا عدم اعتبار قول أكثرية المسلمين في قضية الاستخلاف الظاهري. فأين الشناعة بعد كل ذلك يا ترى.
...
قال أحد الانجليز: اكتب لي قصيدة بالانجليزية تُضمِّنها المعارف الإسلامية حتى أرجع بها إلى قومي و أُعلّمهم إياها.
أقول:

Shining bright and full of might,
The Quranic spirit is a source of light.

Disturbing tyrants be educating,
Saving souls from wrongs to right.

O my Lord, your my sword,
By you, victory is ours in every fight.
Shine upon us with your glorious face,

To take our suffering from out of sight.

Teach us the secrets of your words,
Take our minds beyond every hight.

Your our spring and happy times,
Your name is day, our forgetfulness night.

I am alone even if a king of hordes,
O beloved hold me tight.

Powers decay, I am from clay,
To you my fortress is my flight.

Without you spirits are heavy,
Your love makes mountains light.

Life is chaos, Your law is order,
Like medicine makes things alright.

Our oil is ready, we repent,
Send your vicegerent to ignite.

Not poets, but sons of prophets,
Rich with knowledge and a delight.

Walking on the straight path,
Courageous as a holy knight.

Our gracious King, we beg of you,
Reveal your Man to us tonight.

Full of faith, deeply devoted,
We'll follow him to any plight.

The world is to you is but a sand,
You can turn it to Adam overnight.

We were nothing since eternity,
Then you exclaimed majestically,
Lo and behold "Let There Be Light".
Brothers in Islam, chant this song,

By Allah my pen is moved to write.

Its roots are the pure Quran,
Even if I did not cite.

Learning wisdom from Awleya
Is,i n truth, the holiest rite.

Come brethren, join our way,
Our enemies are full of spite.

The Sufi is a man of Quran,
With a heart coloured golden white.

He inherited Quran by striving,
Neither by talking nor birthright.

Always aware of Allah like,
A woman stuck amidst a bullfight.

His speech is mercy manifesting,
Not to separate nor to excite.

Be infinite to comprehend him,
blasphemy there is being finite.

Meditate on these blessed words,
When you're full, others invite.

I am no poet being paid,
Nor am I some playwright.

Rather your friend is a star,
Sent to recite and reunite.

Allah is merciful, he illuminates,
and surely he will after this twilight.

May his benediction be on him,
Who in every detail was polite.
…

البشرية نكتة. كان الكفّار في الجاهليّة الأولى يقولون "أَبَشرٌ يهدوننا". و صار الكفّار في الجاهلية الحديثة الأخرى يقولون "أغير البشر يهدوننا".

...

معظم النفاق يكمن في كيفية رؤية و معاملة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

...

اعترضني مُدَّعٍ لاتّباع أسلافي،
أي قيمة لطريقةٍ ذلك الصوفي.
فأقول عذرك معك إذ لا ملامة،
على ظهور الجفاء من الجافي.
أينَ مَن نعالهم ما علا مِنْ فَلَكٍ،
مِن عبد درهم متطاول حافي.
لطالما عوّدنا الجهول سفاهته،
لطالما فقدنا منه أدنى إنصافٍ.
تعال إن استطعتَ سأُحدِّثنّكم،
ببعض فضائل طريقة الصوفي.
لكل اسم من الأسماء الحسنى،
وسائل لفيضه كالدواء للشافي.
الشمس للضياء و الماء لإحياء،
النبي للإنباء و القرءآن الكافي.
مِن باب الإسم ندخل لحقيقته،
الشيخ لإظهار أصل سرّه وافي.
التصوّف اصطفاء من الأسماء،
و إظهار الحقائق لعالَم خرافي.
هو ذكر الله سرّاً و جهراً دائماً،
و شهود غيب عن العوام خافي.
الذكرُ الكيمياءُ تُحوِّل نحاسك،
بإذن الله إلى الذهب الصافي.
ثم تتوالى عَليّ فتوح القيوم،
فأصير حيّاً و تعظم أوصافي.
و أستقيم على طريقة أحمد،
و عند أمر سيّدي خير وقّافِ.
لا أظلم شيئاً و لو كان كافرا،
و لا أستغلنّ ما لي باعتسافِ.
الصوفية ما بقوا هم الأنصار،
بحجج بيّنات ثم بقهر أسياف.
قوم احترقوا بعشق سرّ محمدٍ،

و امتلأت بنوره منهم الأجواف.
هو سراجهم و هو الذي يهديهم،
صار لهم لؤلؤاً و هم له كأصدافِ.
هذا الطريق و هذه هي كعبتنا،
فَلَبِّ النداء و انْعَم بِعزّ تطوافِ.

...

قالت: على أي أساس قلت أن سلمان ولي؟ كيف نصبح أولياء لله؟
قلت: أحد الأجوبة:
النبي قال ثمانية يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه..و ذكر منهم شاب نشأ في عبادة الله. و هو كذلك بفضل الله.
جواب آخر: السؤال يكشف عن معدن الرجال. و سؤاله عظيم.
مدى انفتاح قلبي بالجواب يدلّ عندي على مدى رضا الله عن السائل. و قد انهمرت المعاني من سماء قلبي بسلاسة عجيبة بعد أن طلب منّي.
طريق الولاية: دوام ذكر الله.

...

قالت: لاحظت أنه في سورة الرحمن أغلب كلماتها اثنينية أو مثنيه (يسجدان-تكذبان. المشرقين-المغربين. يلتقيان-يبغيان. الثقلان-تنتصران. جنّتان-عينان-زوجان. الجنّتين-جنّتان. عينان نضّاختان. الشمس و القمر. النجم و الشجر. الؤلؤ و المرجان. ذو الجلال و الإكرام. السماوات و الأرض. الجنّ و الإنس. النواصي و الأقدام. الياقوت و المرجان). هل هنالك علاقة رمزية أو إشارة؟
قلت: الرحمن-الإنسان. القرءآن-البيان. و كل تلك الثنائيات. لأن اسم الرحمن به انخلقت الأكوان. اسم الله يمدّ بالحقيقة، اسم الرحمن يمدّ بالصورة. و ثنائية حقيقة-صورة هي مبدأ كل الثنائيات المذكورة. و لذلك السورة كلها عن الصور الدنيوية و الأخروية.

...

يستهزئ الملحد الغافل و الحداثي بل و الظاهري المتأسلم من وضع العرب قبل الإسلام ل٣٦٠ صنما حول الكعبة، صنم لكل يوم من أيام السنة.
و لا يدري كلاهما أنهما يطوفان حقيقة حول مثل هذه الأصنام من حيث لا يشعرون.
كل غارق في الزمان، فهو عابد لتلك الأصنام. و قوم لا يعقلون إلا المادة، و لا يفهمون إلا الحواس، و لا يعيشون إلا الشهوات، و لا يدركون إلا الطبيعة السفلية، مثل هؤلاء لا يحقّ لهم الاستهزاء من ال٣٦٠ صنم. هذه الأصنام قاعدة حول كعبة قلوبهم، و هم يحسبونها معدومة في وجودهم. "الله يستهزئ بهم و يمدّهم في طغيانهم يعمهون".

...

لا تقل: العلماء الماضين قد كتبوا كتباً عظيمة فلا فائدة من الكتابة بعدهم.
أوّلًا لأن الكتابة مفيدة لك أنت قبل غيرك.
ثانياً لأن العلماء كتبوا أهل مرتبة معيّنة و لأهل زمانهم، و أنت تكتب لأهل مرتبة أخرى و لأهل زمانك.
لو فتح عليك الكتابة، فقد أعطاك وظيفة، و الحكيم لا يُعطي وظيفة إلا إن كان وراءها فائدة.

...

لا تقل: كتب العلماء شارحة للمتون الأساسية كالقرءآن و الحديث فلا فائدة من دراسة المتون.
أوّلًا لأن الشروح سُلّم للمتن، و المتن هو الغاية.
ثانياً لأن هذه المتون مشحونة عميقة لا ينضب معينها، فما أخذه أولئك بقدرهم تأخذ أنت غيره بقدرك.
لو فتح عليك الدراسة، فقد أعطاك الحكمة، و الحكيم لا يُعطي الحكمة إلا إن كان فيها جِدّة.

...

مثل مَن يعرف بالمباشرة و من يعرف بالقراءة، كمثل من عيرف الطعام بتذوقه و من يعرف الطعام بالنظر في وجوه الآخرين حين يأكلون الطعام و يُفسّر تعبيراتهم و أصواتهم فيستدلّ بها على نوعية و جودة الطعام.
الحق أنك تحتاج أن تتذوقّ بنفسك و تقرأ غيرك، حتى تتمّ المعرفة بوجهها الذاتي و الموضوعي.

...

أن تُربّي ابنك في مزبلة خير من أن تُرسله للمدرسة.
على الأقلّ في المزبلة سيُقدّر قيمة الحياة و النعمة.

...

قال النبي صلى الله عليه و سلم {لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل و يتصدّق خير له من أن يسأل الناس}.
فائدتان:
الأولى {فيأكل و يتصدّق} فالتصدّق يفيد في بركة المال، و في كونه عبادة أساسية كالصلاة، و في تعزيز الثقة بالنفس و الشعور بالغنى حتى لو كنت في حالة تحتاج فيها إلى أن تحتطب.
الثانية {خير له من أن يسأل الناس} لماذا؟ إن كان السائل في الحقيقة هو الذي يُعطي لأن الصدقة تقع بيد الرحمن، و لأن الله يضاعف الصدقة ففي الواقع السائل هو الذي أعطى المتصدق أضعاف ما أعطاه إياه في الظاهر، لأن له خير منها في الآخرة و الآخرة خير و أبقى، بالإضافة لأن السائل في الواقع يسأل مظهرا إلهياً إذ ما افتقر فقير إلا إلى الله بذاته و تجلّياته. فبناء على ذلك، كيف يكون البيع خير من السؤال؟ الجواب: لأن البيع علاقة أنداد، فيبقى الناس في مساواة كنقط على محيط الدائرة. لكن السؤال علاقة أرباب، فيصير السائل يده سفلى أو عليا بالاعتبارين، و المعطي يده عليا أو سفلى بالاعتبارين، فيصير الناس طبقات على هيئة هرم. و الدائرة أي الحلقة خير من الهرم. و على ذلك، المساواة ليست حقّا يمنحك إياه غيرك، المساواة شئ تفعله بجهدك و تعاملك.

...

قال النبي صلى الله عليه و سلم {أُحُد جبل يُحبّنا و نُحبّه}. لأن أُحُد مظهر الأحد سبحانه. "يحبّهم و يحبّونه". فحتى الطبيعة تُحِبّ و تُحَبّ، أي تحبّ الأنبياء و العلماء. و تظهر أشعّة هذا الحبّ في قلوبهم و مساكنهم و شؤونهم بحكم أن المحيط محيط. و على عكس ذلك، حين يكون الناس في غفلة و ضلالة، فإن الطبيعة تبغضهم و تكرههم، و تقذف شرر لعنتها عليهم فينعكس ذلك في وجودهم كظلمات و ضيقة و اختناق و انكتام يشعر به أهل الله و مَن له حِسّ حيّ.

...

قال النبي صلى الله عليه و سلم {ألا أخبركم بخير دور الأنصار..دور بني النجار ثم دور بني عبد الأشهل...و في كل دور الأنصار-يعني خيرا}. لاحظ الجمع بين الاعتبارين، اعتبار رؤية الخير في الكلّ

و اعتبار رؤية درجات الخيرية. هذه هي العين المحمدية. عين ترى المساواة و الطبقية في آن واحد. المساواة بالجوهر، و الطبقية بالأشدّ و الأضعف.

...

بعد أن كان العرب يحتقرون السود، و لا يزال الغرب إلى اليوم يفعل ذلك إلى حدّ ما خصوصا أمريكا، فإن النبي صلى الله عليه و سلم جعل بلال سلام الله عليه يقف فوق الكعبة أعظم مقدّسات العرب، و ورثة النبي قدّموا حديثا رواه بلال على حديث رواه عربي قرشي أبيض هاشمي و ابن عمّ النبي هو الفضل بن العبّاس و ذلك في مسألة هل صلّى النبي في الكعبة أم لم يصلّ فقال بلال أنه قد صلّى و قال الفضل أنه لم يُصلّ فأخذ العلماء بقول بلال.

ثم نقول: يمكن الجمع بين القولين. الفضل سلام الله عليه أخبر عن حقيقة النبي، فإنه لم يصلّ في الكعبة و لا في الدنيا كلّها بل كان قلبه فوق العوالم الثلاثة و في ذاك المقام صلاته كلّها. "سبحان ربّك رب العزة عما يصفون". أما بلال رضي الله عنه فحكى عن ظاهر القضية و الكعبة الأرضية و النبي صلى الله عليه و سلم قد صلّى فيها.

أما رفع النبي لبلال فوق الكعبة، فذلك لأن سواده إنساني و سوادها حجري، و الإنسان أشرف من الحجر. و لأن بلال خليفة الله ابن آدم، و خليفة الله فوق كل سماوي و أرضي و الكل مُسخَّر له. و لأن بلال مسلم و حرمة المسلم عند الله أعلى من حرمة الكعبة.

...

{ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، و مَن يؤمن بالله يهد قلبه} إلى المنفعة وراء المصيبة، و إلى الطريقة للخروج من المصيبة، و إلى كيفية الانفعال بما يرضي الله و رسوله للمصيبة. {و الله بكل شئ عليم} فأصل المصائب هو أنها ممكنات في العلم الإلهي الطالب للظهور التكويني و الخلقي.

...

يزعم البعض أن كل ما يقوم به الإنسان في السرّ هو أمر خبيث. الجواب عن ذلك:

أوّلًا دخول الحمام يتمّ في السرّ، و هو أمر طيب للجسم و لا حرام فيه بل الحرام تركه.

ثانياً معاشرة الزوجة تتم في السرّ، و هو أمر طيب و مشروع و تركه عمداً من التقصير المذموم.

ثالثاً الدعوة الدينية في المجتمعات الكافرة المحاربة للمؤمنين و المستضعفة لهم تتم في السرّ و البيوت و الكهوف.

و الأمثلة كثيرة.

إنما يُحارب العمل في السرّ و يريد أن يصمه بالبدعة و الكفر أولئك الأمراء و عبيدهم الذين يتحكّمون في العلن و لهم أعين في كل مكان جماهيري تقريباً، فيزرعون في الناس أن السرّيات خبيثات. و هؤلاء أنفسهم قبل نيل الإمارة كانوا يعملون و يحيكون الدسائس في السرّ بل و حتى بعد نيل الإمارة لا يزالون يحيكون الأمور في السرّ و كل اجتماعاتهم المهمة سرّية و كل مداولاتهم "الخاصّة"...خاصّة!

...

خلاصة النعيم و السعادة.

إن أردت دوام شدّة فرحتك.

ضَحِّ بحياتك لمن تُحبّ،

خُذ الحياة من خصمك.

...

الليلة الماضية بعد الوتر كنت مستعجلًا لإنهاء الصلاة لمجالسة حبيب، فلما قضيت التشهّد الأخير في حضرة العرش، و قبل أن أُسلّم تسليمة الخروج آتاني النبي صلى الله عليه و سلم و قال ما معناه "لا تستعجل تعال" و هو يتبسّم تبسّم السيّد الحنون الذي يتعجّب من استعجال مولاه و عدم معرفته بمواطن منفعته. فأقامني النبي بنبل و لطف، و إذا بمثل وعاء زجاجي في يدي، فأخذني النبي إلى الأمام قليلا حيث كنت جالساً و إذا بخلائق من الأنبياء و الأولياء ممن لا أعرفهم و لم أُمَيّزهم، و لا حتى أنا على يقين إن كانوا من الأنبياء و الأولياء حصراً بل لعله كان فيهم من الملائكة أيضاً، إلا أني شعرت بأنهم من الناس، و إذا بكل واحد منهم معه صُرّة فيها أموال كأنها ذهب و فضّة لم أرى صورتها بل شعرت بمحتواها، و كأن كل واحد منهم أراد أن يعطيني إياها حتى أنفقها بدلا منه في الدنيا. و أنا مادّ يديّ بالوعاء و هم يلقون الصرر فيه، و النبي يقول لهم ضاحكاً ضحكة هادئة ما معناه "الشاب مستعجل فمن أراد أن يعطيه شيئا فليعجل" ففتزاحموا و ألقوا ما معهم، و لم يُلقي الجميع ما معهم بل ألقى الأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه و سلم و منّي حتى امتلأ الوعاء. فالتفت إلى الوراء لأرجع إلى الدنيا، و في اللحظة التي التفت فيها من جهة اليمين حيث كان النبي صلى الله عليه و سلم واقفاً، و إذا بكائن عظيم يأتيني من جهة يميني بعد أن التفت إلى الوراء، لم أعرف من هو و لكنّي شعرت بأنه من الملائكة الكبار لأنه كان أعظم وجوداً من جميع الحضور، و شعرت بأنه جبرائيل عليه السلام، فأخذني بقوّة و قبّل وجهي من جهة فمي و خدّي الأيسر، و أعطاني شيئاً و وضعه فوق كل الصرر لم أر هيئته جيّداً. ثم رجعت. و أُلهمتُ بأن هذه علوم و أفكار و أشياء من هذا القبيل يُريد هؤلاء إظهارها في العالَم فأعطوني إياها لذلك، و إن شاء الله سيخرج ما أعطوني إياه، بالحفيظ العليم إني حفيظ عليم. "أنفق أُنفِق عليك".

...

استمع ألا أيها المفتون،
لست شيئا حتى يُقال فيك مجنون،
و إلا فلست من أصحاب "ن"،
فإن سمعتها من أبيك فأنت وارث إبراهيم،
و إن سمعتها من عمّك فأنت وارث محمد،
و إن سمعتها من ابنك فأنت وارث يعقوب،
و إن سمعتها من زوجك فأنت وارث نوح،
و من صاحبك فصاحب صاحب الجنّتين،
و إن سمعتها من رئيسك فأنت وارث موسى،
و هكذا أيها المؤمنون و العالمون،
وسام شرفكم و آية نجاحكم كلمة،
"يأيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون".

...

بعث لي أحد السادة من أصحابي رسالة فيها :
(إنا لله و إنا إليه راجعون.
اليوم جارنا قتل نفسه و قتل زوجته و هرب)

فتعجّبت و انفعلت بسرعة و أرسلت له رسالة عزاء قصيرة و دعاء، فتنبّهت للمعنى فور الإرسال فضحكت ضحكا شديداً. و قلت: في زمن القراءة السريعة و ندرة التدبّر تجري هذه الأمور علينا.
ثم أرسلتها إلى أمي و إخوتي فسرت عليهم أيضاً. و قال أخي الأكبر: ما تفسير ذلك. فخطر لي أن فيها معنى صحيحاً و فوائدا. و منها:
١- حين بدأت الرسالة بالاسترجاع، دخل الذهن المعتاد على العمل بناء على أنماط و قوالب جاهزة، لا الانفعال الحيّ لكل لحظة جديدة كما هي و الذي لا يقدر عليه إلا الأحياء الكمّل حقّاً الذين يعاملون كل صغيرة و كبيرة على أنها موقف كبير يستحقّ الاهتمام (و هذا أصل تفاصيل الشريعة و الطريقة التي قد تبدو للضعاف أنها تدقيقات لا فائدة منها و يجب أن نركز على "القضايا الكبيرة" فقط. و الحقّ أنه كلّما ازدادت قوّة الإبصار كلّما لاحظت التفاصيل، و كلّما اقترب الإنسان من العمى كلمّا ازداد رؤيته للأشياء المجملة و الحدود العامّة للشئ فقط. كل حادث في الكون و كل ما نمرّ به هو موقف عظيم و مسجد جليل، فيستحقّ الاهتمام الحيّ التامّ به. اللهم اجعلنا كذلك). و هذا ما هيأ ذهني و عدم مبالاتي بتدبر مثل هذه الرسائل، فسرت عليّ النكتة.

٢- أما التحقيق في معنى النكتة و النكتة المعرفية فيها فهي التالي:
أما قتل النفس، فهنا النفس هي الروح، و قتلها يكون بالجهل بالأمور الحقيقية و الإلهية و المعادية.
أما قتل الزوجة، فالزوجة للروح هي النفس، و قتلها يكون بجعلها تغرق في الصور و الماديات و التدسية.
أما الهرب، فهو للبدن، و هو من قول الجنّ "لن نعجزه هربا" أي في الأرض، و الأرض للبدنيات، و المقصود أن الإنسان بعد أن يقتل روحه و نفسه، يظنّ أنه سيهرب من المصير و الحساب بأن يستغرق في الدنيويات. و هيهات.

وراء كل نكتة، نكتة.

...
قالت: ما هو الحجّ الأكبر و الأصغر؟
قلت: الحجّ قصد بيت الله. بيت الله منزل آياته و أسمائه. أكبر بيوت الله هو النبي. أصغر بيوت الله هو الحجر الأرضي. ثم الحج يكبر و يصغر بينهما.

...
قال أخي ما حاصله: آخر آية من سورة الفتح تدلّ على أن أي كتاب لا يوجد فيه مثل أشداء على الكفار رحماء بينهم عن محمد رسول الله و الذين ءامنوا معه فإذن عندنا هو ليس التورية، و أي كتاب لا يوجد فيه مثل كزرع عنهم فهو عندنا ليس الإنجيل.
فعزّزت ذلك بقول:
فعلا هي حجّة قاطعة.
و لو قال: نعم هذه التي عند اليهود هي التورية المذكورة في القرءان لكن اليهود حرّفوا و مسحوا آية محمد و الذين معه...الخ.
فالجواب: إذا كان ممكن يسمحوا آية فإذن أوّلا نحن لا نعلم إذا مسحوا غيرها أيضاً، و ثانياً الذي يقدر على المسح يقدر على الإضافة. و على الوجهين يسقط اعتبار كتابهم بالنسبة لعيننا القرءآنية.
...

القرءآن ليس قرءانا، و الشعر ليس شعراً، حتى تفهمه و تنظر معانيه في نفسك و تُغنّيه بطرب.

...

أفضل طريقة للزهد في الماديات: جرّب الروحانيات. ثم احصل على جميع الماديات!

معظم الشهوات المادية تنبع من الحرمان منها أو الخوف من فقدانها بعد وجودها. لو وجدتها النفس كلما اشتهتها و اطمأنت إلى دوامها، فقطعاً ستزهد فيها.

...

قيل لحداثي مريض: إن فلان رجل مهم، لأنه يقرأ الكثير من الكتب.

فقال: نعم، إنه يقرأ الكثير لأنه لا يوجد أحد يريد أن يتكلّم معه !

فقلت: بل يقرأ كثيراً لأنه لا يوجد أحد يريد هو أن يتكلّم معه !

...

قلت: دعاء {اللهم هب لي التوحيد المحض، و إقامة الفرض، و التمكين في الأرض، و السلامة يوم العرض} هو دعاء جامع لكل مطالب الإنسان.

قالت: كيف؟

قلت: لأن مطالب الإنسان إما إلهيات و إما دنيويات و إما أخرويات.

أما الإلهيات فمجموعة في {التوحيد المحض}.

و أما الدنيويات فأعلاها {التمكين في الأرض}.

و أما الأخرويات فخلاصتها {السلامة يوم العرض} و أساس ذلك {إقامة الفرض}.

و قولك {اللهم} هو دعاء بكل الأسماء الحسنى التي قال الله لنا {فادعوه بها}.

فإذن هذا الدعاء أحسن المطالب بأحسن طلب.

...

لو كان الفوز العظيم هو شيئ غير أن تُقتَل في سبيل الله لما قال الله {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم..و يُقتَلون..ذلك هو الفوز العظيم}.

فعجبا للإنسان يدّعي الإيمان و يخاف أن ينقتل فيُحشَر إلى الرحمن.

...

تُهْتُم أيا أشباه أخسّ البهائم،
تَهتمّون دهركم كأنكمُ السوائِم،
تِيهِكم قد زَهَدَكم في كُلِّ عالِم،
ستلعنكم الأُمم يوم يقوم القائِم.

إلى متى قل لي إلى متى،
في أضاليل أباطيل الهوى،
إلى متى في غَيِّك ستبقى،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

فائدة يقظتكم كفائدتكم عند المنام،
لا تنفعون لا إنس لا جان لا أنعام،
قلوبكم كالكلاب فلا يقربكم الكِرام،

ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

ألا إنكم حشاشون بطّالون منافقون،
عاجزون خائفون في ريبكم تترددون،
لربّكم لا تُجاهدون بأنفسكم لا تثقون،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

مُسلمكم شكّاك و لا يتعلّم سرّ الملّةِ،
كافركم قرد و عقله أصغر من النملة،
النفاق فيكم أفشى من عفن بالمزبلة،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

نعم عندكم المصاحف على الرفوف،
و ولي الله فيكم كأنه رائحة الخَلوف،
تفرّون منه و قلبكم لعدو الله ملهوف،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

تتكبّرون و أنتم صبية و صغار و أطفال،
الولي يستغيث بسببكم من قهر الرجال،
تظنّون أن كبر أعماركم شئ من الكمال،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

يا أبناء قتلة العلماء و إخوة الكفرة،
أي قيمة لكم و لمذهبكم أيها الفَجَرة،
نهاية حياتكم و ذكراكم هي المقبرة،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

شبابكم يريد الجماع كأنه خنزير،
و شيخكم يريد التحكّم بكل حقير،
نساؤكم أعلى هممهم تنعْم بالحرير،
أهذا حفظكم لأمر النبي و الأمير،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.

قد مللنا منكم و مِن تصخّر قلوبكم،
قد تقززت أرواحنا من ضيق أفقكم،
قد ابتلانا الله بالصبر على تعليمكم،
ألا فاستيقظوا و اكدحوا حقّا لربّكم،

و إلا فوالذي فطر جبريل و مُحمّدكم،
ستلعنكم الأمم يوم يقوم القائم.
...
(هذه التساطير من بطون أنهار الآية ١١١ من سورة التوبة. أوّل كلمة من كل سطر هي منبع السطر. فاقرأ أوائلها نزولًا تجد أنك قرأت الآية المذكورة).

إن اليقين عند العباد لمعدوم،
الله واهبٌ ممسك كل معلوم.
اشترى من تجليّاته نفس التجلّي،
من الحق بالحق التحلي و التخلّي.
المؤمنين بإيمان أمان مدّ المُؤَمِّنْ،
أنفسهم فوق كل تثمينات المُثَمِّنْ.
و أموالهم أمانة كأمانة الأنبياء،
بأن الاستخلاف مضى للخلفاء.
لهم بفضله و توفيقهم للاستقامة،
الجنّة بدنيا و آخرة و لها المدامة.
يُقاتلون بجَنان و لسان و أركان،
في كل الآنات لهم للطهر حربان.
سبيل الجهاد بالعقل و بالأسياف،
الله شرّعه للهداية و ردّ الأجلاف.
فيَقتلون الجهل و العدوان،
و يُقتَلون ليرفعهم بالجِنان.
وعداً كتبه بالرحمة القادر الخلّاق،
عليه بأسمائه فافرح أيها المشتاق.
حقّاً يشهدون بواطنه اليوم،
في اليقظة و بحضرة النوم.
التوراة بقصصها ترمز لصدقها،
و الإنجيل بأمثاله دليل ثبوتها.
و القرءان بتأويله يكشفنّ حقيقتها،
و مَن عرف نفسه سيؤمن بخلودها.
أوفى الأوفياء و أعلمهم بما هو آت،
بعهده القديم و المحدث عاش فمات.
مَن فرط حبّهم لرفقة الملأ الأعلى،
الروح و الملائكة و نبيّنا الأسمى.
فاستبشروا بضحك القلب للأبد،
ببيعكم لهواكم و إخلاص الأحد.

الذي أرسله ليكون قطبكم،
بايعتم بإذنه رسوله ففزتم.
به لا بكم جاءكم النصر و التوفيق،
و ذلك من نفحات الرحمن الرفيق.
هو هويّتنا و أمره طريقنا و ذكره حياتنا،
الفوز ما فزنا به و تحقيق كل كمال عيننا.
العظيم مَن عقل هذه الأسرار بحسن التفهّم،
و اقرأ "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم".
...
(المثنوي العربي)
بعيداً عن التطويل و الهذر، لندخل في الموضوع و هاك الخبر. كتاب المثنوي المعنوي لشمس الأرواح و فخر الأشباح مُحرر النفوس من الدنيا و جاذب القلوب للعليا مولانا جلال الدين البلخي الرومي الذي ما له نسب حقيقة إلا الرباني القرءآني، هو من أهم ما دوّنه إنسان و انكشف من بيان. و تحت هذا العنوان (المثنوي العربي) سنستلهم مضامينه المترجمة للعربية حسب ترجمة الأستاذ الدسوقي رضي الله عنه و سنعمل قدر وسعنا على قلّة بضاعتنا و ضعف قريحتنا على نظم الأبيات و إضافة ما يُفتح علينا أثناء ذلك. هذه ليست ترجمة حرفية، و لا هي نظم شعري موزون حقّاً، لكنها محاولة نظم مثنوية بالعربية و هي أقرب للسجع المُثنّى و لعل الله يبعث من يجعله موزونا -مع شرح و إضافة حتى يكون العمل كأنه عمل عربي خالص و هو أصل بحد ذاته. و من الله نستمد الفتح و المعونة و صلّى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين.
{ملحوظة: حين نختم الفقرة بعدد خماسي ٥-١٠-١٥...الخ فإن ذلك يدلّ على رقم الأبيات التي استلهمنا منها و نظرنا فيها قبل الكتابة حسب الترقيم الوارد في الترجمة العربية. و الأصل عندنا أننا سنظر إن شاء الله فيه خمسة خمسة. و الله المستعان).
(الكتاب الأوّل)

بالله فاستمع أيها السامع،
لمنظومنا هذا الرائق الرائع.
استمع للناي كيف يبثّ شكايته،
و من الفراق هو يقص حكايته.
لولا غفلاتك أيها التائه،
لاستغنيت بذاتك أيها النابه.
الناي أنت لكنك نسيت،
ثم باجتهاد غيرك كُفيت.
فتعال و استمع بإنصات،
و دقق بعقلك في الأبيات.
قد نطق ناي الروح بعد تنزّله،
و في صحراء البدن صار حلوله.

أما موطنه فاعلم أنه الجنان،
عند ملائكة الباقي المحسان.
قال مُرشدا للحائرين،
و مُذكّرا بعلم للناسين.
مذ فصلوني عن شجرة الملكوت،
صرخت صراخا في الناسوت.
حتى ضجّ لصوتي الملئ بالأحزان،
كل من عليها من الإناث و الذكران.
صوتي آية فافهموا،
نوحي سفينة فاركبوا.
لا يعرفني إلا هاجر اسماعيل،
نفس قد عانت من ظمأ طويل.
أم رضيت نفوسكم بشرب الأجاج،
و اعتادت حلوقكم على بلع الزجاج.
العطشى يجرون و برجلهم يضربون،
خلف السراب أو جبريل ينتظرون.
أريد صدرا أوسع من تهامة،
و من الدنيا احترق بالسآمة.
شاعرا بموطنه مشتاق له،
واجدا لوجوده ساعيا له.
هذا هو المريد الصادق،
المؤهل لنفحات قلب العاشق.
آلامنا تُذيب ما في سقر،
و لا تُبقي حديدا و لا تذر.
لا يحتملها إلا من فني،
و ببقاء الباقي قد بقي.
أنّى يتقبل تجاوز المادة،
مَن يراها وحدها الجادّة.
لن يطلب الوصال،
إلا شاعر بالفصال.
أيطلب بيته بعد طول أسفار،
من وجد في الغربة الاستقرار.
بل ينكر أزواجه و أولاده،
و يرفض صحبه و أحبابه.
ألا لا نسبة للمرء إلا ما شَعَرْ،

أن ليس لوجوده بغيرها خبر.
أصولك اعلم أيها النبيل،
رفقة جبرائيل و ميكائيل.
أنت روح في حقيقتك،
و ما سوى فهي صورتك.
البقاء سمتك النور لذّتك،
العلوّ رتبتك الرب مشهدك.
الحسن هيئتك الجمال بيئتك،
الطيب رائحتك الطهر صفتك.
التقديس عملك التسبيح هوايتك،
التعليم شرفك الحقيقة هويّتك.
ما الزمان إلا نعلك،
و المكان تحت قدمك.
الفناء خرافة بالنسبة لك،
السببية هُجْر في مجلسك.
أسماء الله هي مادّتك،
نفحات الصفات ملبسك.
الوحدة عددك و الكمال واقعك،
الأحدية ذكرك الواحدية كتبك.
هذا أنت و بلادك أيها المسكين،
فكيف ترضى في غيرها التمكين.
فابك ثم ابك في الدنيا،
كبكاء ألف أمّ رحيمة ثكلى.
فنفسك بعد وفرة هبطت للقليل،
فارحمها كرحمة العزيز الذليل.
ما رحمتها إلا ذكر الله،
أليست حلقه رياض الله.
اذكر في كل ملأ بلا تمييز،
اذكر حتى تفقد كل تمييز.
حتى ترى الحقّ في كل شي،
و يصير آية كل سعيد و شقي.
تتصبّر حينها بمشاهدة الكمال،
المتنزّل المختلط بعالم الظلال.
...(٥)
ما أجمل أن تكون محبوبا،

و مع امرأة تكون مسعودا.
أو بصديق تكون مغبوطا،
و برفيق الروح مخلوطا.
ما كل من صحبك ظاهرا،
و لا كل من سألك مُتحيّرا.
هو رفيقك حقّا،
أو يكون صادقا.
يظنّ من حولي ظنّ الأباطيل،
و من يُجالسني قبيح أو جميل.
أنه مرآتي كالمؤمنين،
و من حزبي كالموالين.
هيهات ما صحبتي بأمر سهل،
و لا يحتملني صاحب أي عقل.
حتى يكون قرءاني الطباع،
صريح لا مُراوغ كالضباع.
و لا غضوب كتلك السباع،
بل يكون للمعارف جَمّاع.
متعطّرا كالشمس في الإشعاع،
حيوياً عفوياً كأخي الجِماع.
معياره في القبول هو الانتفاع،
و لا يبالي بخرق ألف إجماع.
بفهم القرءآن قلبه نبّاع،
صاحب سنّة لا ابتداع.
كيف اعتبره بحكم الصديق،
إن لم يغص لسرّي العميق.
بين قلوب الأحبة لا حجاب،
على وجوههم ما ثم نقاب.
تشهد أسرارهم بأسرارهم،
تسمع أرواحهم إسرارهم.
خفايا نفوسهم لبعضهم مفضوحة،
ثنايا صدورهم لخِلّانهم ممنوحة.
إن تشاتموا فكشتائم إخوة،
لا أثر لها و يتعقبونها بتوبة.
إن عرفوا تبادلوا أفكارهم،
لا يضنون بثمار حدائقهم.

مواهب الرب لأحدهم،
كمواهب الرب لكلّهم.
لا قانون فوقهم إلا الحبّ،
إسعاد الإخوة هو القطب.
من يرى نفسي قبل بدني،
يُبصر روحي قبل جسدي.
يشعر بحزني و لو أسررته،
يبكي لشوقي و لو أضمرته.
الشوكة حين تشوكني تؤلمه،
والضربة تصيبني توجعه.
فرحتي عنده بمثابة فرحته،
تلذذي على لسانه كتلذذه.
هذا رفيقي أيها الأخ،
و لمثل هذا قل بخ بخ.
اللهم أمدّني بأنوار النورانيين،
وأنزل عليّ أرواح الروحانيين.
وأسرار العالين المقرّبين،
و أنفاس عبادك المخلَصين،
و علّمني من لدنك بيانات الرحمانيين،
و اجعلني بما آتيتني أحسن المنتفعين.
إنك أنت أرحم الراحمين،
و إنك أنت خير الرازقين.
سرّ العارف ظاهر عليه،
كحزن العاشق باد عليه.
و كحب الهائم أنحل بدنه،
فأثبت وجده شاهد مرضه.
ما غابت الأسرار،
إلا لغروب الأنوار.
كان الرسول عند أبي لهب،
فحجبه عن النور ما كسب.
لهب الحواس يُحرق الحسّ،
ران الذنوب يغطّي النفس.
فتصير عينا لا عين لها،
و تصير أذنا لا أذن لها.
و أنف لا يشمّ شيئا،

و تجربة كلحمة نيئا.
لا ينتفع بمشهود،
لا يعتبر بمفقود.
لا يستدلّ بمحدود،
ينكر معنى الوجود.
الحواس للنور الإلهي كؤوس،
إرشاده القلم و هي طروس.
إن عقل صيّره عنده كالعروس،
إن غفل كان عنده كالجاموس.
أخفى الحق اللباب،
بوضعه عند الكلاب.
فيزهد برؤيته فيهم الأرباب،
لرفضهم لما دون السحاب.
و هل أفضل في الإخفاء،
من النشر العام للأشياء.
سرّي بين أيديكم طريح،
موهوب لكم لقُبلة و تجريح.
لكن قلتم ليس هو،
ثم إنكم لم تطلبوه.
إذ ما أنتم لي برِفقة،
و لا لكم عليّ شفقة.
ما إشفاقي إلا عليكم،
ما شكايتي إلا لربّكم.
اسألوا نصراً يفتح منافذكم،
و استسقوا نورا لحواسّكم.
فالعين لا تبصر إذ هو البصير،
و الأذن لا تسمع دونه الخرير.
و لو دققت على أذنك الأجراس،
فلا اهتزاز بغير تجلّي الأقداس.
أعطاك اليد فسرقت بها،
أتطمع أخذ الخِلَع بها.
يد السارق تُقطع أيها العدل،
و كذا كل حاسّة بحكم العقل.
البدن صورة مُقيّدة،
فيُرى بحاسّة مُحدَّدة.

أما الروح فليس لها شكل،
فمعاينتها مقالة أخي جهل.
الروح ظاهرة على الجسم،
كختم مطبوع على الدرهم.
لولا الروح فلا أبدان،
فلا تخفى عن العيان.
ما البدن بالنسبة للروح،
إلا كسفينة ربّانها نوح.
هو الصانع بوحي الله،
هو الُمحرّك ببسم الله.
هو الُمنجي بعناية الله،
هو الحافظ بأمر الله.
ظهور الروح للحسّ الحيواني،
كظهور المقاصد بنفس المباني.
إذ لا لفظ بغير معنى،
و حدّ بينهما لن ترى.
الجسم حرف العقل معناه،
البدن لفظ الغيب فحواه.
اعلم أن حقيقة الإذن،
لا تتناقض مع الممكن.

فما لم يأذن به الحق،
لا يجوز بدوّه للخلق.
إما لحكم الضرورة،
إما لحسن الصورة.
إذ هو عليم بالممكنات،
و يعتني بالجماليات.
ألم تقرأ أنه مِتقان،
في كل عمله مِحسان.
ظهور الروح في أشكال،
نقض لمعاينتها بالكمال.
فطلب رؤيتها مُحال،
يعرف ذا كل الرجال.
النفس من العشق كالتنانين،
زفيرها نار في كل الأحايين.

من الشوق امتلأت بالطاقة،
فتلذذت بالأعمال الشاقّة.
جميع مشاعرها حنين،
جميع أصواتها أنين.
من أنفاسها تحترق المجرّات،
من نيرانها تذوب الذرّات.
يسمع الحيّ تلك الأصوات،
فيعلم أنها بُراق إلى الذات.
أما الموتى فإنهم يقولون،
ما هو إلا هواء مجنون.
ما هو إلا هراء مفتون،
إن هي إلا حيلة مسجون.
نقول في ذلك أحسن جواب،
قول الموتى أرخص من تراب.
تعال واقتبس من هذه النار،
بالذهاب إليها تهتدي للجبار.
ألق بنفسك كالهنود الكفّار،
حتى تلقى الواحد القهّار.
كفّر نفسك باسم الغفّار،
يجعلك ملكا من الأحرار.
الناي عندنا هي الأكوان،
النافخ فيها هو الرحمن.
بأنفاسه يترنّم أصحابه،
لبعده يتنهّد أربابه.
يبكي الناي و بدل الماء،
تخرج نار مُزِجَت بهواء.
و مَن لا يفطن لسرّ الأشياء،
فحكمه عندنا أقل من الهباء.
ما غنّى الناي إلا أُغنية،
واحدة فقط بلا اثنينة.
العشق ثم العشق بعده،
الله الله الله وحده.
هو الساري في الساريات،
هو السابح في السابحات.
هو الجاري بالجاريات،

هو سر باطن الآيات.
ما ثَمّ لذّة للذائذ،
إلا لوجوده النافذ.
غلى في الخمر أشد الغليان،
و تفجّر فيها كأعظم بركان.
فخرج الموصول تائه سكران،
و خرج المُشاهِد أعمى حيران.
الشغل الشاغل للذين يعرفون،
تحقيق سر "سكرتهم يعمهون".
حتى لا يرى حدّا و لا فساد،
و الموجودات كسلسلة أعداد.
و النفوس خالدة أبد الآباد،
و الحق في كل شئ باد.
و القيامة قامت أو تكاد،
و الكل حيّ حتى الجماد.
هذه ثمار العشق المنفجر،
و في الجميع عبقه منتشر.
إن استيقظت فقد نمت،
إنما اليقظة إن سَكِرت.
الذات هي المسجد الأقصا،
لا ناسخ للقبلة الأولى.
إنما النسخ ظهوره بالخليفة،
فينطوي الحق في الخليقة.
كان ما كان خذ الخلاصة،
اذكر الحق بأشدّ صبابة.
الدنيا ثم دنيا و ألف مثلها،
فدى لنظرة واحدة من عينها.
أنا يزيد المسموم بعشقها،
أنا بايزيد التائه بكنهها.
الظلام و النور نعال تحتها،
مسيلمة و مسلم كفرا بها.
لن توصلك القراءات السبع،
لن ينفعك القصر و الجمع.
إلا ذكر من عمق الأعماق،
و هيمان دائم مع أشواق.

و استماع أناشيد العشّاق،
لعل ثم لعل تفوز بالتلاق.
...(١٠)
ما احتجب أحد عن المجرّدات،
إلا و تعلّق قلبه بالمتجسدّات.
إذ المثال نزول الممثول،
به يصل كل مفصول.
تقيّدت الروح بعد الهبوط،
رحمته تعالى دواء القنوط.
بكاء الحقّ على عباده،
يتجلّى بأسباب وصاله.
عَشِقَنا قبلَ عِشْقِنا،
لَمَسَنا قبل حِسِّنا.
أرادنا قبل إرادتنا،
أحبّنا قبل محبّتنا.
جعل من المواد إمدادات،
لتكون وسيلة للقدسيات.
كما عند أهل اليابان الشاي،
كذا عند أهل العرفان الناي.
صديق المرء يُذكّره بحبيبه،
حبيب المرء يُذكّره بحقيقته.
حقيقة المرء تُذكّره بربّه،
رب المرء يُذكّره بنفسه.
هذا الوجود دائرة مُداره،
لا مفرّ من حكم إساره.
صحبنا الناي و كل المظاهر،
التي تُذكّرنا بوجوه الظاهر.
يجبر ما بالقلب من أحزان،
نشأت بسبب فراق الأخدان.
مشاهدة بقايا آثارهم،
و شمّ رائحة أقدامهم.
حتى نتّبع مواضع الخطوات،
ونضع وجوهنا على العتبات.
أم ترى أنك من أهل الهيام،
و مع المعشوق تنتفخ كالكرام.

حاشاهم من هذا الانضمام،
ما الهيام إلا تمام الإسلام.
فإن نفخ الحبيب ذات الشمال،
طارت روحك نحو ذاك الكمال.
و إن قفز المعشوق مثل القرود،
قفزت مثله و لعنت كل جمود.
هو معيارنا به نقيس،
نفديه بكل غال نفيس.
لكل مُفترق عن خلّانه،
مُفرّج لكروبه و أحزانه.
أما التحقيق فله أحكام،
لا يتعقلها أكثر الأنام.
الحقّ لا ينفصل عن أحد،
كيف و هو الواحد الأحد.
استمعوا بإنصات لا أُمّ لكم،
لبيانه الشافي "و هو معكم".
الهاء هوية و هي الهواء،
به ينفخ بالناي الأولياء.
الواو جمع بين الذوات،
بسرّ وحدة الوحدات.
لكنّ للأسماء سلطنة عالية،
تجذب الأعيان من الهاوية.
فتأبى ما بها من القصور،
و إذ المُعدَم يتمنّى القصور.
و يشتهي مضاجعة الحور،
و السباحة في بحر النور.
هو السبب و السبب ربّ،
فتعلّق به كتعلق الكلب.
كن أمينا ليستأمنك،
كن أسدا ليستخلفك.
لا تأخذ العلم من الراي،
بل استمع لوحي الناي.
فإن أنغامه تخترق السحاب،
و تحرق إحراقا كل حجاب.
لحرارة زفيره الإنّية تذوب،

بالإخلاص به تُغفر الذنوب.
خذ الناي و شاهد الغيوب،
دع الموتى يشقّوا الجيوب.
كل مادّة لها وجهان،
فهي ظلّ و هي إمكان.
لذلك ترى يضل بها البعض،
يكفر بالسما يؤمن بالأرض.
الصورة سُمّ للوثنيين،
و هي ترياق للعاقلين.
فاستمع بالله و لله و فيه،
و أمِّل منه وحده ما ترتجيه.
ينكشف لك إن نظرت،
عقلك وحده صاحبت.
ربّك وحده عاملت،
من القرءان تعلّمت.
فاتّخذ الناي رفيقا،
فليس غيره شفيقا.
يريدك البشر لما عندك،
أما القرءآن فيريد رفعك.
الناي الحق هو القرءآن،
لا من خشب لا سندان.
هو نجيّنا في الخلوات،
هو حاملنا في الفلوات.
هو الحبيب وقت الحبّ،
هو المؤازر وقت الحرب.
إلى ربّنا طار بنا كالبراق،
بعث فينا لموطننا الأشواق.
دعني من الهراء و الهباء،
إنما تأويله طريقة الأنبياء.
كلمة الله سرّ التماثيل،
العقل عنه فتح التأويل.
إلا أنه ما بالقرءان أُفهِمناه،
في النهاية بالناي أُسمِعناه.
جلسنا عند أقدام المولوي،
وهو ينثر لنا درر المثنوي.

الناي كان له كالقلم،
الهواء كان له كالكلم.
من وراء حجب الطبيعة،
نفخ فينا روح الحقيقة.
فقمنا نرقص و ندور طربا،
من لذّة الوجد قضينا عجبا.
ثم أطلق من فوهة مدفعه،
سرّا فتضرّج كُلّ منا بدمه.
إذ قال ما لم تُقتَّلوا،
حقا أبدا لن تحيوا.
كيف تكونوا و الله يكون،
لا والله ذا أبدا لا يكون.
أيرضى عنكم أهل الزمان،
و قد تفتت بأقدامكم الأوان.
في نفسك أصنام لها سدنة،
بكسر كل صنم لك ألف حسنة.
إلا أن بينك و بينها،
جنود لا صورة لها.
فإن لم ترى بلا رؤية،
و لم تسلم منك الطوية.
و لم تتشجع للقتال بلا سيف،
و لم تخش من الاعتراف بالحيف.
ستبقى فيك اللات و العزّى،
و كذلك مناة الثالثة الأخرى.
احذر احذر زعم أهل الجهل،
أن كان ثم مضى وثن هُبَل.
هُبَل فيك ألا أيهذا المسكين،
ألم تر الهَبَل يقطعك كالسِّكّين.
إن نفير الجهاد دوّى بالآفاق،
واخترق صوته السبع الطباق.
كحاجة الإبل في سيرها للماء،
كذا حاجة النفس لشرب الدماء.
ما هو الدم في هذا الطريق،
إنه التذلل للحق أيها الرفيق.
حتى لا ترى إلا علماء،

يشهدون بلبّ الأشياء.
إذ من ذمّني رأى فقري،
ومن مدحني رأى خلافتي.
و أما مَن أعرض عنّي،
فقد شهد بسرّ عدمي.
و أما من اتّبعني،
فلرؤيته فيّ نور ربي.
ألا يا ترى هل في الكتاتيب،
تُدرَّس مثل هذه الأعاجيب.
أنتم تروون أشعار قيس،
أما نحن فنُحقق الليس.
ما الجنون إلا قولنا،
فلان ليس موجودا.
صار مرآة لوجه ليلى،
هي الظاهرة لا سوى.
كلامنا كلّه مهما طالت الحياة،
ليس شيئا سوى الله الله الله.
اسمه محى عقولنا،
لفظه دوّخ أذهاننا.
حروفه حيّرت ألبابنا،
لذّته أغرقت أحلامنا.
يقولون دع عنك حديث الأصفياء،
قلت التشبّه يرفع من الأشقياء.
فإن لي فما يُخاطبكم،
و فما لا يُكلّم أحدكم.
إنما يُشافه ربّ العالمين،
و يُقبّل قدم أمير المؤمنين.
عليّ علونا به في عليّين،
ببركة قُبلته صرنا نُبين.
اتّقينا كشف الأسرار،
لكل الخونة و الفجّار.
ما هي هذه التقية،
عدم منحنا للبركة.
أما التبليغ فهو وظيفتنا،
وراثة من محمد رسولنا.

أخفينا فما و أظهرنا آخر،
للخواص إبرا للعوام آزر.
لا نُظهر سرّ الهيم،
إلا لمن بالله يهيم.
أما الإبرة فبها نخيط،
لباس التقوى للمحيط.
نحنا لإظهار سنّة الجاهلية،
أي جهلنا بسر سر المعيّة.
لطمنا الصدور و قلنا مات،
ضربنا الرؤوس و قلنا "لات".
ليرى العامّة أننا من "المؤمنين"،
فيشهدوا لنا بأنا من المسلمين.
تعساً لزمان تُخطب العوام،
بمهر نقض عرى الإسلام.
أين الذين كلّمهم رسول الصدق،
بكشف "من رآني فقد رأى الحق".
البكاء أثر لأسباب عوالي،
يشهد للروح بفراق المعالي.
كل صيحة آية للمعتبرين،
الصرخة أذان للمستعبرين.
استغرقت الروح في ذاتها،
فعرفت النبي من قطبها.
ذكر النبي اسم ربّه،
بعد شهود آثار اسمه.
النبي هو أثر الاسم،
ذاك المعنى و هو جسم.
جسم رمزا إذ لا مادّية،
عند مقام الصفة الإلهية.
لكل مقام رجاله،
جمع الكل مقامه.
هو يثرب فلا تثريب عليه،
إن شهد بنزول الحق إليه.
إن بلغ العارف طور التحقيق،
شهد بالنبوّة و هو بذا حقيق.
إذ ناسبت ذاته ذات المشهود،

فعلم حينها مقامه في الوجود.
أما الجاهل الكسول القعود،
فهو حسود و للنبي عدو لدود.
الوعي يحدّك بما وعيت،
إن فقدته فقد هُديت.
هُديت لما لا ضلال عنه،
المطلق لا يخلو شئ منه.
أليست الأذن تسمع لأنها فارغة،
لو استشعر النعمان ترك النابغة.
لن تقبل إلا بوجهين،
فقد و وجد باعتبارين.
لو فقدت فقط لما دريت،
لو وجدت فقط لما تمنّيت.
كن و لا تكن هذه الكينونة،
بها تنل كل حكمة مكنونة.
يشهد بذا انصباب العسل،
من الأولياء كأنهم النحل.
لو كان الطريق بلا نهاية،
و خلت اليد عند الرماية.
لما انبسطت نفس العارفين،
و لما عاد بالغنائم السالكين.
العالَم طافح بفتوحاتهم،
الكتب عامرة بأنوارهم.
الفلسفة قطرة من بحارهم،
الحكمة عرق من جباههم.
أشرقت عليهم الجواهر،
و أرغموا أنف كل كافر.
وقتهم كلّه في نعيم الطلب،
مجلسهم عامر بنَغَمٍ و طرب.
ودّعنا الأحزان بالقرءآن،
و دفنّا الملال بالإيمان.
حياتنا لذّة و ننتظر عزرائيل،
يقظتنا و نومنا مع جبرائيل.
نحن رفاق الملأ الأعلى،
ياقوت ينفذ منه السنا.

في الجاهلية نلنا المحنة،
في الإسلام الكل منحة.
الحزن من الكفر في طريقنا،
يوسف لا ينفصل عن يعقوبنا.
...(١٥)
نظرتنا للمُتَزَمِّن لا للزمان،
ولهنا بالمُتَمَكِّن لا بالمكان.
ألف سنة بغير الحبيب،
كألف بقرة بغير حليب.
نبقى و لو أُحِطنا بالنعيم،
عطشى نحترق كبُهم هيم.
الزمن كُرة يهتم لها الصبية،
عذاب ملاحَظَتَه بل هو فِرية.
لو أدرك الفقيه ما به من سوء،
لأوجب في مذهبه منه الوضوء.
كالنجاسة بسبب الكلب و الفار،
يقضي القياس في كان و صار.
لسنا دهرية أيها الأخ،
الله دهرنا فحاذر الفخ.
فليمضِ الماضي إلى جهنّم،
لا يخاف مضيّه أولو الفهم.
الأيام لباس كالأجسام،
التعلّق بها من الأسقام.
اثبت بالروح فإنه الباقي،
العقل لخمره هو الساقي.
اسم القدوس عصمة من الزمان،
التغنّي بكلامه جبل من الطوفان.
ما أغرق الفاسد ابن الرُّبّان،
إلا استجهاله لحقائق القرءآن.
ربّ إنّي لقصوري مغلوب،
إذ لست برب إنما مربوب.
إن بقيت عنايتك فلا أُبالي،
لا بمستقبل و لا بالماضي.
أنت الآن و الآن أنت،
أنت حيّ و ميّتا لست.

حيث تجلّياتك بلا تكرار،
وقتي كله بسط و أنوار.
التكرار في العرفان تنجيس،
و تتوالى الأمثال كالتلبيس.
يشهد الأمثال كُمّل الرجال،
يُعاني من التكرار الضُّلّال.
الحياة جمال في جمال،
ما فيها عندنا أي ملال.
مَن لم يكن من أهل الذات،
عذاب في عذاب له الحياة.
يُعذّبه أوّلا خلوّها من المعنى،
ثم يُعذّبه منها تكرار المبنى.
الملل كلمة من أحرف ثلاثة،
لامان التكرار و الميم مُغلقة.
استغلاق الفحوى على الأذهان،
والد سقر في نفس الإنسان.
لكل دار أهل يناسبونها،
كالبحار لكل منها حوتها.
اعرف دارك افقه زمانك،
تأمل حالك جِدْ هويّتك.
زوال المجانسة سبب النفور،
لا تعاشر النحلةُ الصرصور.
و لا الغراب يكلّم النسور،
و لا كلب يطير مع الطيور.
أساس قيام الطبقات،
مبادئ علم المناسبات.
أنت عقل و لذلك ترى،
تعاقب الحوادث تترى.
لولا أن عقلك من مستوى البقاء،
لما أحسست باتصال الأشياء.
بل تُعاين كل لحظة مادّية،
ككيان بذاتها لا كجزئية.
الكُلّ مشهد العقل،
تنبّه لآثار الجهل.
سبب شعورك بطول الساعة،

ربطك للصور كأنها سلسلة.
و كل صورة تقوم بطاقة،
فتنفد طاقتك بعد مُدّة.
فتشعر بالثقل من الحمولة،
و تطلب عن أصلها الحيلولة.
أما الذي يتلذذ في كل حين،
فيومه أقصر من طرفة عين.
و هل قال عاشق لليلاه،
ليت ليلي يبلغ منتهاه.
كلّا ثم كلّا بل إنه يقول،
لعنة على زمن لا يطول.
من لا يأكل من مأدُبة التنزيل،
و يشرب من زُلال حِكَمٍ التأويل.
و يشهد الطبيعة كحقٍّ جميل،
يلمس في الكلّ صور الجليل.
فإن عيشه لذُلّ طويل،
و إن دنياه متا ع قليل.
قد كلّمتك بأسرار العارفين،
و كاشفتك بأفكار المقربين.
إلا أن حقيقتها مطويّة،
مهما بيّنا فهي خفية.
لا يذوقها غير واحد منهم،
يرى الذهب رمل لترابهم.
هم أشخاص كلامنا ظِلال،
هم اليقين و بياننا ضلال.
هم صدق نحن السراب،
نحن وديان هم السحاب.
هم الذبيح نحن هاجر،
هم إبراهيم نحن ءآزر.
فأنّى لوصفنا بلوغ صفتهم،
خفّاش ذهننا لا يرَ شمسهم.
ما لكثرة المحاولات،
مدخل في القدرات.
العلم مبني على المشاهدات،
و الشعور بأنوار تلك الذوات.

فأقلل من اللفظ أيها السالك،
و جاهد للوصول لديوان المالك.
و إذا بك تُجالس الأولياء،
بعد طول تفكيرك و العناء.
لهراء الأكاديمي لا تلتفتوا،
الدكتور ثور ألا فلتعلموا.
ما سلك الفجّ لله فجّا،
ما رأيت مثله ساذجا.
يعتقد أنه بذلك التحليل،
سيعرف وسائل التكميل.
أولياء الله وسائط النور،
أرواحهم منابع للسرور.
فكيف يعرفهم كئيب جاف،
و من لم يقف بطوى حاف.
أقصروا يا آل التحريف،
القوم ربيع و أنتم خريف.
أما إن تبت أيها الدَّعيّ،
و أردت شمّ رائحة الوليّ.
فحطّم جميع أصنامك،
و تحرر من كل قيودك.
أسّ قيودك خوف القتل،
و كذا التعذيب ثم العذل.
الصنم صورة و الصورة حدّ،
فكيف يا وثني تعرف الأحد.
و في الدنيا هُبَل المهابيل،
و مُستَعبِد النبيل و الذليل.
هو الذهب و الفضّة و ما شابه،
من كل مال و نقد تملك به التافه.
لا تُقدّمن شيئًا على الحقيقة،
إياك إياك من وهم و تلفيقة.
و كل القِيَم مرجعها مبادي،
أسماء الله أو اعتبار عادي.
ما كان لله فهو لك بالإفاضة،
و إلّا ففي تركه لا غضاضة.
أي بُني إن أبانا العقل،

به نخرج من عدم الجهل.
تفكّر في كل شؤونك،
تأمل في كل مظاهرك.
واعلم أن التفكير تطهير،
و ذكر الله كتاب التحرير.
مَن قال "الله" فقد فاز،
و لكل خير حقّا حاز.
سندي حيث لا سند،
مددي حيث لا مدد.
عصمتي من كل أحد،
جنّتي إلى أبد الأبد.
آه من شوقي للقياه،
و النظر إلى مُحَيّاه.
هيّا هاجر إلى المدينة المنورة،
و اهجر بلاد الغفلة و الكفرة.
الفضّة جعلتك عن الله مفضوضا،
الذهب جعلك عند رسله مبغوضا.
الأملاك صيّرتك عدوّ الأملاك،
و صيّرت التراب عليك كأفلاك.
تعساً لمن كانت الرمال سماؤه،
و مَن كان بالمال أصل غناؤه.
أي خبيث اغتسل في الكوثر،
و صَلِّ بعقلك و شهوتك انحر.
حتى تأخذ المال من الهواء،
و ترى في الموت سر الغذاء.
و الصخور توحي بالأنباء،
و سُمّ الحيّة أحسن دواء.
اهرب من سجن عادتك،
فرّ من زنزانة تجاربك.
إذ أنت في عمى عن سعة الوجود،
و تحسب أنك كالطيّار بجنّة خلود.
و الحقّ أنك عن باب العلم مردود،
و دون قلبك الطريق إليه مسدود.
لا تقل أعرف لا تحلف،
ابدأ بالمحو و لا تُخرِّف.

لست مسيحا فتولد بالنبوةِ،
لست عليّا فتولد في الكعبةِ.
إذ ما سعى لمثل هذه الكتب،
إلا مَن اسندلت دونه الحُجُب.
الضعيف يطلب العون من القوي،
و المكتسب السالك يُنيره المثنوي.
و عيسى لا يحتاج لنفخ و إبراء،
ما احتاج علي لغيره في الأنباء.
أنت قابل من أولي الظلمات،
و لك نزلت جميع تلك الآيات.
إن"الله ولي" فلا تستحي،
البداية بالظلمة أمر بدهي.
أي وارث إبرهيم و محمد،
قل جاء الحقّ و لا تتردد.
اغز مكّة قلبك و افتحها،
جميع أوثانها أسقطها.
بقوّة أنفاس نبي الله،
بقدرة بركة كلام الله.
ارفع بلال روحك المُنادي،
و ليخسأ ملأ ذاك النادي.
إذ إن أقدام ذاكر الأحد،
تعلو و لا يعلو عليها أحد.
قلب بلال كعبة الكعبة،
إذ نال عزّ سرّ التوبة.
فرجع إلى حيث لا فراق،
و تحقق بغاية العشّاق.
و سمع إراديا "مَن راق"،
و يقينا عرف لب الفراق.
فجمع الوحدة بالتوحيد،
وغلب الأكوان بالتجريد.
كن أيها المُريد كبلال،
لا يستعبدنّك أي مال.
فإن فعلت فلك العليا،
ثم أتتك راغمة الدنيا.
لا تسع معدتك و لو طمعت،

لغير القليل و لو اشتهيت.
حسبك منه كفاية بدنك،
لا تخلط به طلب نفسك.
إن النفس أوسع من البدن،
فإن خلطت أصابك الحزن.
خير مادي للنفس البسيط،
خير مادي للبدن الوسيط.
إنك لو أردت جمع البحر،
سيفرغ إنائك عند الفجر.
فلم تُعاني لأخذ فراش طويل،
إن كنت قصيراً يكفيك القليل.
الشبعان شبعان و لو كان،
يُقسِم الثقلين أنه جوعان.
فإن كُفيت قوت الأجسام،
فافرغ لكسب قوت الأفهام.
لن تنال شرف القناعة،
إلا بعد محورية المعرفة.
إذ الروح تطلب الإطلاق،
بالأنفس أو في الآفاق.
فإن وصلت لزمزم العلم،
شبعت و تلذذت بالفهم.
هو شبع من وجه لكن بعده،
جوع لذيذ لا ينقضي وطره.
مثل طالب الدنيا من الكفار،
كحالِم في كأسه كل البحار.
لو كان الكأس بقدر البحر،
لما وُجِدَ كأس فاعقل السرّ.
وجود الكؤوس المحدودة،
شاهد مياه غير محدودة.
فلا تُسرفنّ و لا تتحدّ،
املأ كأسك لآخر حدّ.
قد عاش قبلك الجمّاعين،
لهذا الحطام كقارونيين.
فخسف بهم صاحب القهر،
منهم مفتون و منهم بالقبر.

أحسن ما كسبته من طعام،
أحسن ما عقلته من كلام.
أفخم و أوسع بيت،
بترك سوف و يا ليت.
أزين ما وضعته من لباس،
تفقّه يُزيل عنك الالتباس.
أما درّة تاج هذه الأرض،
فامرأة تُعينك على الفرض.
بذكر الحبيب تتسّع المعيشة،
تصير الحجارة كأنها ريشة.
فتطير كجعفر بغير يدين،
و تجد اللذّة حتى في المَيْن.
تحلو الحلاوة بتحليتها،
بذكر اسم حق عليها.
يصير كأسك كأنه البحر،
و تجد السعة بعين القَطْر.
الحمد لله على حمده،
فالحمد سبب لمزيده.
...(٢٠)
...
قال: لماذا يخرج شعر الرأس و اللحية بعد حلقه؟
قلت: حتى يرزق الله الحلّاقين.

قال: لماذا يخرج شعر الرأس و اللحية بعد حلقه؟
قلت: حتى نعرف أنه لدينا فرصة أخرى لتغيير أنفسنا طالما أننا في الدنيا.

قال: لماذا يخرج شعر الرأس و اللحية بعد حلقه؟
قلت: لأن تجليّات الأسماء لا تنقطع، كلّما ذهب مثال جاء مثال.
.... انتهى و الحمد لله رب العالمين.